خليل حاوي



الناي والريح

شِعر

خليل حاوي

النّاي والرّيح

شِعر

منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت

الطبعة الاولى – كانون الثاني ١٩٦١
على مطابع دار الريحاني للطباعة والنشر – بيروت

عنـدالبصّـارة

(قبيل السفر من بيروت الى [illegible] »،الى كيمبردج.
حوار داخلي تسوق طرفاً منه البصّارة والجنّ الذي يحلّ فيها،فيجسّدان للشاعر رعبه من صمت [illegible] يتولد عنه غير مأساة تحيله الى مجنون متألّه او مهزلة تحيله الى سا[illegible]رج . وفي كلا الحالين يستعيض بمعجزات وهميّة معادلة لمعجزات ارادها ان تعيد خلق الواقع .

وفي النشيد الاخير يتحدى الشاعر الصمت الذي أرعبه ودفعه الى سؤال البصّارة عن مصيره ، ويتعالى على الفجع بافجع منه ، بتضحية قد ترضي ربّه فيسعفه على [illegible] خالق) .

— ١ —

ضحكتُ من بصّارة الحيِّ
وماذا ؟ عُدتُ من مفترقٍ
يغلي بموجِ ٱلرملِ وَٱلأَصداء والبروقْ
مُشوّشَ العَينَينِ ،
أَسترحم ما تحكي لعَيْنَيها
خطوطُ ٱلغَيبِ في راحتي
ونجمُ عمري ما نوايا ضوئه ٱلسحيقْ
وما لسانُ النار

ما يحكي لسانُ ٱلنارِ وٱلدخانْ
(ينبعُ من مِبخَرةٍ سوداءَ
شذقَيْ ماردٍ وجانْ)
عن طُرُقٍ ما برحتْ في رَحِمِ ٱلزمانْ .
ضحِكتُ من بصَارةِ الحيِّ
وماذا ؟ هلْ طريقٌ
غيرُ ما يرسمُ لي في ٱلرملِ مِنْ طريقْ
إصبعُها ٱلمقوَّسُ ٱلعتيقْ
ضوءُ عصا بيضاءَ في عَتْمَتي
يمسحُ عن جَبْهَتي

زوبعةَ ٱلشوكِ التي تعصبُها
ٱلأصداءُ وٱلبروقْ

— ٢ —

وحلَّ في ٱلبصَّارةِ ٱلجنُّ
وأرغى فمُها أزرقْ
وفي غيبوبةِ جنونْ
أبرقَ ضوءٌ وتجلَّتْ طرُقُ ٱلغيبِ
وكانَتْ طرقاً ملعَونةً
سمعتُ صوتاً ساخراً لعينْ :

تريد أَن تعرفَ ماذا في غدٍ تكونْ؟ :

وجهاً غريباً ،

ناسكاً على ضفاف « كامْ »

رمَّدَ في أُذْنَيهِ صوتُ ٱلربِّ

وٱلهيكلُ كهفٌ

وصدى يتِّهمُ ٱلتَسْبيحَ وَٱلصيامْ ،

وموسمُ ٱلخمرةِ وَٱلمرمرِ وَٱلجمرِ

حرامٌ ذكرُهُ حَرَامْ

يا ناسكاً على ضفافِ « كامْ »

شُرُوشُهُ تصدأُ في غربتِهِ ،

وصمتُهُ ليلٌ ، سوادٌ حَجَرِيٌّ
حَلَقَةٌ من صَدَإِ الحديدْ ،
هيهاتِ لن يختمرَ الصمتُ
وَيُعطي ثَمَراتٍ ،
جُزُراً تهزجُ عَبْرَ الصحوِ وَالسكونْ ،
وربّما انشقَّ ضميرُ الصمتِ
عن شمسٍ بلا ضوء
وحتّى أنجمٍ محمرّةٍ يغزلُها الجنونْ
وربّما توّجكَ الجنونْ
أهدى إليكَ خاتماً

يُطوِّعُ ٱلغيبَ لِما تريدْ
يستنبتُ ٱلياقوتَ وَٱلمرْجانَ
من أوديةِ ٱلصَوّان وَٱلحديدْ

— ٣ —

وعادَ ذاكَ ٱلساحرُ ٱللعينْ
تريدُ أَنْ تعرفَ ماذا في غدٍ تكونْ؟ :
ظَلَّ هنا ، إنْ شِئْتَ ،
وأملأْ صمتَكَ ٱلأَجوفَ
من حُمَّى ٱلأَغاني

في مقاهي ٱلشطِ وٱلخليجْ
ومن بخارِ أبيضٍ يطفو على ٱلمستنقعِ ٱلبهيج
من مَرَحِ ٱلشمسِ
ٱلذي يغزلُ لوناً واحداً
في بِرَكِ ٱلوحلِ وصحو ٱلنبعِ وَٱلرمالْ،
أَلعَفَنُ ٱلمطمورُ في ٱلظلالْ
ظلالِ وردٍ أبيضٍ وزهرِ برتقالْ.
أراكَ شرَّشْتَ هنا
في ضفةِ ٱلمستنقعِ ٱلبهيجْ
أَراكَ تمتصُّ عصيرَ ٱلعَفَنِ ٱلمعجونِ بٱلوحولْ

تمتصُّكَ ٱلوحولْ
أراكَ تستحيلْ
لِشَجْرةٍ مسمومةٍ ، ثم لِتِمْساحٍ عتيقٍ
يتّقي بجلدِهِ ٱلذبابْ
وَٱلعلَقَ ٱلأصفرَ وٱلذئابْ
رائحةَ ٱلأنثى ٱلتي تئنُّ عيناها لِمَنْ تَرَاهْ
يختلجُ ٱلوعدُ على ٱلشفاهْ
وَذاتَ ليلٍ سُقْتَها للنهرِ
أنتْ ، ركَعتْ ، همَّتْ بها يداكْ
ثم ٱرتختْ يَداكْ .

وبينما أنتَ تعاني صمتَكَ ٱلأَجوفَ
تبلو ٱلعَفَنَ ٱلمعجونَ بألوحولْ
أراكَ تستحيلْ
لِساحرٍ يموِّهُ ٱلأشياءَ في ٱلعيونْ
مُهرِّجٍ حزينْ
في مسرحِ ٱلفَجرْ
يروِّضُ الأفعى ويمشي حافياً
يمشي على ٱلجمرِ على ٱلإبَرْ
يعجنُ في أسنانهِ ٱلزجاجَ وَٱلحَجَرْ

يضمُّ في كفَّيهِ وهْجَ ٱلشمسِ للظلالْ
ينْسج منها هالةً وشالْ،
حورِيَةٌ تهبطُ من أكمامِهِ الطِّوالْ.

. . . .

مهرِّجٌ حزينْ
وساحرٌ يموِّهُ ٱلأَشياءَ في ٱلعيونْ

– ٤ –

ـ ألا تَراني غيرَ تِمْساحِ
تَراني شَجْرةً مسمومةً،

صَمتَ جحيمٍ يغزلُ الجنونْ،
مهرِّجاً حزينْ ؟
ـ أراكَ في ٱلصحراء كهفاً صامتاً
أتعسَ مما كنتَ من سنينْ
ألا ألا تسمعُ صوتاً وصدى
يُغْري كهوفَ ٱلصمتِ بِٱلهزيجْ
كأنَّما جدرانُها تحوَّلتْ صنوج ؟
ألا ترى ملءَ وريدي خمرةَ ٱلشمسِ
عروقي شَجْرةَ ٱلبهَارْ
دمي يُحيلُ ٱلعفنَ ٱلجاري

ثُرَياتٍ من ٱلعافيةِ ٱلخضراء وٱلثمارْ ؟
ألا تَرَى في فُوهَةِ ٱلبركانِ وجهي عارياً
وٱلنارُ تجترُّ نِعالي
ثمّ ترميها إلى ٱلسفوح
ودخنةً من رِئَتي ،
دخنَةَ نارٍ ودمٍ
تروي عروقَ ٱلربِّ حتى ينتَشي يبوحْ ؟
ـ لستُ أرى
ـ إنّي أرى الطريقْ
مَنْ أخرسَ ٱلأصداءَ وٱلبروق

مَنْ أحرقَ ٱلعَتْمةَ وٱلظنونْ
كأنها من قبلُ ما كانتْ ولن تكونْ
أضحكُ من بضَارةِ ٱلحيِّ
وما لفَّقَ جنٌّ ساخرٌ لعينْ

النّاي والريح
في صومعة كيمبردج

يجب ان نبعث لغة القبيلة لنشتقّ منها العبارة التي تصنع الوجود .

مالرمه

قابض على الريح يسيّرها كيف شاء .

. . .

تجوع الحرّة ولا تأكل بثدييها .

ـ ١ ـ في الصومعة

بيني وبينَ ٱلبابِ أقلامٌ وَمِحبرةٌ ،
صَدىً متأفِفٌ ،
كُوَمٌ من ٱلوَرَقِ ٱلعتيقْ ،
هَمُّ ٱلعبورِ ،
وخطوةٌ أو خطوتانِ
إلى يقينِ ٱلبابِ ، ثمَّ إلى ٱلطريقْ

— ٢ —

كَذِبٌ ،
دَمي ينحَرُّ ، يشتمني ، يَئِنُّ :
إلى متى أَزني ، وأبصِقُ
جَبهتي ، رِئَتي
على لقبٍ وكرسيٍّ
أُضاجعُ مومياءَ ؟
أنا لستُ منكمْ طغمةَ ٱلنسَّاكِ
وٱللحمَ ٱلمقدَّدَ في خلَايا ٱلصومعَهْ
لن يستحيلَ دمي الى مصّلٍ

كذبتُ، كذبتُ،
جرّوني إلى ٱلساحاتِ، عرّوني
أسلخوا عنّي شِعَارَ ٱلجامعَهْ

ـ ٣ - ألنّـاي

« إبني، وقاهُ ٱللهُ، كنزُ أبيهِ،»
« جسرُ ٱلبيتِ، يحملُ همّنا همّاً ثقيلْ»
« ... ألعامُ خلفَ ٱلبابِ يا بِنتي، يعودُ»
« غداً، يعودُ إليكِ، بَعْضَ ٱلصَبرِ »

«سوفَ يعُودُ، واللهُ الكفيلْ.»

. . . .

ولربّما ماتَتْ غداً
تلكَ التي يبسَتْ على إسمي
ومصَّ دماءها شَبَجِي
وما احتفلتْ بلذّاتِ الدماء،
ماتَتْ معَ الناي الذي تهواهُ
يَسْحَبُ حزنَهُ عبْرَ المساء
ومع الورودِ متى التوَتْ
بيضاء، ينسجُ عُرسهَا ثلجُ الشتاء

طولَ ٱلنهارِ
مدى ٱلنهارْ
تنحلُّ في عَصَبي جِنازَتُها
يحزُّ ٱلنَّايُ فيهِ
وما يزيحُ عنِ ٱلقَرارْ :
ماتَتْ وما ٱحتفلتْ وما عَرَفَتْ
رَفاهَ يدٍ تُظلِّلُها ودارْ .

- ٤ - ألرّيح

طولَ ٱلنهارِ

مدى النهارْ

ربّي متى أنشقُّ عن أمّي ، أبي
كُتُبي ، وصومعَتي ، وعن تلكَ ٱلتي
تحيا ، تموتُ على ٱنتظارْ
أطأُ ٱلقلوبَ ، وبينها قلبي ،
وأشربُ من مرارات ٱلدروبِ بلا مرارهْ ،
ولعلّ تخصِبُ مرة أخرى
وتعصِفُ في مدى شفَتي ٱلعِبارَهْ .
دربي إلى ٱلبدويّةِ ٱلسمراء

واحاتِ ٱلعَجينِ البكرِ ،
وٱلفجواتِ أوديةِ ٱلهجيرْ ،
وزوابعِ ٱلرملِ ٱلمريرْ .
تعصى وليسَ يَرُوضُها
غيرُ ٱلذي يتقمَّصُ ٱلجَمَلَ ٱلصَبُورْ
وبقلبِهِ طفلٌ يكوِّر جنَّةً ؛
غيرُ ٱلذي يقتاتُ من ثَمَرٍ عجيبْ :
نِصفٌ من ٱلجنَّاتِ يسقطُ في ٱلسلالْ
يأتي بلا تَعَبٍ حلالْ
نصفٌ من ٱلعَرَقِ ٱلصَبيبْ .

أَلشوكُ ينبتُ في شقوقِ أظافِري
أَلشوكُ في شفتيَّ يمرجُ باللهيبْ
... في وجهها عَبَقُ الغريزةِ
حين تصمتُ عن سؤالْ
... نهضَتْ تلمُّ غرورَ نهدَيْها
وتنفضُ عن جدائلها حكاياتِ الرمالْ ،
تحدو ، تدورُ كما أُشيرُ بإِصبعِي
ولربّما اصطَادَتْ بُروقاً
في دهاليزي تمرُّ وما أعي
وبدونِ أن أُملي الحروفَ وأدّعي

تحدو ، تدورُ ، تروغُ زوبعَةً طروبْ
وأرى ٱلرياحَ تسيحُ ، تنبعُ
من يدَيْها :
منبعَ ٱلريحِ ٱلمطَّرةِ ٱلجنوبْ
ومنابعَ ٱلريحِ ٱلطَرِيَّةِ وٱلغضوبْ
للريحِ موسمُها ٱلغضوبْ .

. . . .

وحدي مع ٱلبدويةِ السمراء
كنتُ مع ٱلعِبارَهْ
في ٱلرملِ كنتُ أخوضُ

عَتْمَتُهُ ونارَهْ
شربُ ٱلمراراتِ ٱلثقالِ
بلا مرارَهْ.

. . . .

ريحٌ تهبُّ كما تشيرُ عبارتي
للريحِ موسمُها ٱلغضوبْ،
للريحِ جوعُ مَبارِدِ ٱلفولاذِ
تمسحُ ما تحجَّرَ
من سياجات عتيقَهْ
ويعُود ما كانت عليهِ

ٱلتربةُ ٱلسمراءُ في بدء ٱلخليقَهْ
بكراً لأوّلِ مرةٍ تشتهي
بحضنِ ٱلشمسِ، ليلُ ٱلرعدِ
يوجعُها، وتستَمْري بروقَهْ
ماذا سوى أرضٍ تَعُبُّ
ٱلحلمَ، تُنبِتُهُ كروماً وَٱلكرومُ
لها شروشُ ٱلسنديانِ،
لها عروقُ ٱلسنديانْ
وَرَفاهُ في ٱلبيلسانْ،
ماذا سوى عَقْدِ ٱلقبابِ ٱلبيضِ

بيتاً واحداً يزهو بأعمدةِ ٱلجباهْ
يزهو بغاباتٍ من ٱلمُدُنِ ٱلصَبايا
لِين أرصفةٍ وَجاهْ
أَيصحُّ عَبْرَ ٱلبحرِ تفسيخُ ٱلمياهْ ؟

. . . .

وأرى ، أرى الطَاووسَ يُبْحِرُ
في مراوحِ ريشهِ ،
نشوانَ يبحر وهو في ظلِّ ٱلسياجْ
ويظنُّ أنَّ ٱلوردَ وٱلشِعْرَ ٱلمنمَّقَ
يستراننِ ٱلعارَ في تكوينهِ وٱلمهزلهْ

في صدره ثديانِ
ما نبتَا لمرضعةٍ
ولا للعَانسِ ٱلمُسْترجلَة
ثديانِ يأكُلُ منهما عسلًا
ويحِصدُ منهما ذهباً وعاجْ
لو يستحقُّ صلبتُهُ
ما شأنهُ بصَليبِ إيمانٍ
يسوقُ لجُلْجُلَة
وكَّلتُ ريحَ ٱلرملِ
تعجنُهُ بوحلةِ شارعٍ أو مزبلَة

هو وٱلسياجْ
وطيوبُ ثديَيْهِ وما حصَداهُ
من عَسِلٍ وعاجْ ،
في مَوسم ٱلريحِ ٱلغضوبْ
مَسْحُ ٱلسياجات ٱلعَتيقة في ٱلعُقولِ
وفي ٱلدروبْ

— ٥ — الناسك

أَلنَّاسكُ ٱلمخذولُ في رأسي

يُطِلُّ عليَّ ، يَسألني ، يَحارْ
« أهملتَ فرضَكَ » ،
« هَلْ جُنِنْتَ فرحتَ تَحلُمُ في ٱلنهارْ »
« حُلمَ ٱلنَّهارِ »
« مدى ٱلنَّهارْ ؟ »
« هلْ كنْتَ تتبعُ ذلكَ الجِنِّيَّ »
« هل أغواكَ شيطَانُ ٱلمغارَهْ ؟ »
ـ وحدي مع ٱلبدويةِ ٱلسمراء
كنْتُ مع ٱلعبارَهْ
في ٱلرملِ كنتُ أخوضُ

عَتمَتهُ ونارَهْ ،
شربُ ٱلمراراتِ ٱلثِّقالِ
بلا مرارَهْ .
ـ « ألغازُ مجنونٍ » وعاد
لغرفةِ ٱلآثارِ في رأسي ،
وللسلعِ ٱلعَتيقةِ ،
عاد منخَلعَ ٱلوقارْ .

ـ ٦ ـ

طولَ ٱلنَّهارِ

مدى ٱلنهارْ
ألحينُ بعدَ ٱلحينِ تعبرُ جبهتي
صُورٌ وتنبتُ في ٱلطَريقْ
صورٌ يشوِّهُها ٱلدوارْ
أمي ، أبي ، تلك ٱلتي
تحيا تموتُ على ٱنتظارْ
ألنَّاسك ٱلمخْذولُ في رَأسي
يشدُّ قُواهُ ينْهرني ، أفيقْ :
بيني وبين ٱلبابِ
صحراءٌ منَ ٱلورقِ ٱلعَتيقِ وخلفَها

وادٍ منَ أورقِ ٱلعَتيقِ وخلفَها
عمرٌ من ٱلورقِ ٱلعَتيقْ

وجوهُ السِّندَباد

– ١ – وَجْهانِ

لَمْ تَرَ ٱلغربةَ في وجهي
ولي رسمٌ بِعَيْنَيْها
طريٌّ ما تغَيَّرْ
آمِنٌ في مَطْرحٍ لا يعتريهْ
ما ٱعترى وجهي
ٱلذي جارَتْ عليهِ

دمعَةُ ٱلعُمرِ ٱلسفيهْ

كيفَ ـ ربي ـ لا تَرَى

ما زَوَّرَ ٱلعُمرُ وحفّرْ ،

كيفَ مرّ ٱلعُمرُ من بعْدي ،

وما مرّ ،

فظلّتْ طفلةَ ٱلأَمسِ وأصغَرْ

تغْزل ٱلرسمَ على وجهي ،

وتحكي ما حكته لي مِرَارْ

عن صبيٍّ غصّ بٱلدمعَةِ

في مقهى ٱلمطَارْ

« غِبْتَ عَنِّي ،
وَٱلثواني مَرِضَتْ ،
ماتَتْ على قلبي ،
فما دَارَ ٱلنَّهارْ ،
... ليلُنَا في ٱلأَرْزِ من دهرٍ تُراهُ
أَمْ تُراهُ ٱلبارحهْ ؟
... صدرُكَ ٱلطَّيِّبُ
نفسُ ٱلدفء وٱلعُنْفِ ،
ونفسُ ٱلرائحَهْ ،
وجهك ٱلأَسمرُ ... »

ـ أدري أَنَّ لي وجهاً طرياً
أسمراً لا يعْتريهْ
ما اعترى وجهي
ٱلذي جارَتْ عليهِ
دمغَةُ ٱلعُمر ٱلسفيهْ
وجهيَ ٱلمنسوجَ من شتَّى ٱلوجوهْ
وجهَ مَنْ راحَ يتيهْ :

ـ ٢ ـ سجينٌ في قطَارْ

مُرّةٌ ليلتهُ ٱلأُولى

وَمُرٌّ يومُهُ ٱلأولُ
في أَرضٍ غريبَهْ،
مُرَّةٌ كانتْ ليَاليهِ ٱلرتيبَهْ ،
طالما عضَّ على ٱلجوعِ ،
على ٱلشهوةِ حرّى
وٱنطَوى يملِكُ ذِكرَى
يمسحُ ٱلغَبرةَ عن أَمتعة ملءَ ٱلحقيبَهْ.
حَجَرٌ تحملُهُ ٱلدوّامةُ ٱلحرّى ،
سجينٌ في قطَارْ

ما دَرَى ما نكهةُ ٱلشمسِ ،
وما طِيبُ ٱلغُبارْ
ورشاشُ ٱلملحِ في ريح ٱلبحارْ .

. . . .

مِنْ أسابيعَ وفي غرفتِهِ
تلك ٱلكئيبهْ
تأكلُ ٱلغبرةُ أشياءَ ٱلحقيبَهْ
تَأكلُ ٱلوجهَ ٱلذي خلّفَهُ
لّما تعرّى
ومضى وجهاً طريًّا

ما له أَمسٌ وذِكرى .

٣ – مع ألفجر

مَنْ تُرَى يحتلُّ ذاكَ ألفندقَ ألريفيّ ،
عُرسُ ألجنِّ فيه ... مُحْرَقهْ !
لَهبُ ألرقصِ ،
ورقصٌ في أللهَبْ ،
وألتعَبْ ؟
مَنْ تُرَى يتعبُ مِنْ

لينِ ٱلزنودِ ٱلمحرقَهْ
مَنْ تُرَى يرتاحُ في حُمَّى ٱلسريرْ !
صاحَ : « هذا ٱلكأسُ لي
من أهرقَهْ ؟ »
ضَحِكَتْ :
« ثوبي ٱلدِمَشقِيُّ ٱلحريرْ
لستُ أدري ، لم أسَلْ مَنْ مَزَّقَهْ »

. . . .

أتقَنَ ٱلدوخةَ من خَصْرٍ لخصْرٍ ،
عادَ من عُرسِ ٱلفَجَرْ

دمعَةٌ في وجهِهِ ،
في دمهِ شلّالُ نارِ
وعلى قمصانِهِ ألفُ أثَرْ .
موجةٌ واحدةٌ في دمهِ ،
في زوغــةِ الشمسِ ،
وحمّى المعْدنِ المصْهورِ ،
في البركانِ ، في وَهْجِ الثمارْ ،
موجةٌ تغْزلُ في المرجِ فراشاتٍ ،
وتغْفو في خوابي الخمرِ
تغْفو في قواريرِ البَهارْ ،

موجةٌ فوّرها في دمهِ
عرسُ ٱلغَجَرْ
عادَ منْه ما له ذاكرةٌ
تُحصي ٱلصُوَرْ
عمرُهُ ثانيةٌ عَبْرَ ٱلثواني
يتلقّاها ، وينسى ما عَبَرْ ،
عمرهُ عمرُ الغَجَرْ
وله وجهُ الغَجَرْ
وجهُ من تبصُقُهُ ٱلدوامةُ ٱلحرّى
فيرسو في ٱلمواني

ومحطاتِ ٱلقطارْ
لِبَناتِ « ٱلبارِ » ما في جيْبهِ ،
ضحكةٌ ،
حشرجةٌ خلفَ الستارْ ،
وجهُ من يتعَبُ من نارٍ
فيرتاحُ لنارْ .

– ٤ – بعد الحمَّى

وجهُ مَنْ يصحو من ٱلحمَّى :

فراغٌ ، شاشةٌ ترتجُّ ،
عينٌ مطفأهْ ،
وصريرُ المِدفأهْ .

– ٥ – جثّةُ الضجَر

وجهُ ذاكَ الطّالبِ القاسي
على أعصابِ عينٍ متعبَهْ
في زوايا متحَفٍ ، في مكتَبَهْ
وجهُهُ يغرقُ مصلوباً

على سِفرٍ عتيقْ
وعلى صمتِ ٱلصُّوَرْ ،
ووجوهٍ من حَجَرْ،
ثم يرتاحُ إلى ٱلصَمتِ ٱلعَريقْ
حيث لا عمرٌ
يبوخُ ٱللونُ فيه وٱلبريقْ،

. . . .

ضَجَرٌ في دمِهِ،
في عينهِ ٱلصَمتُ ٱلذي
حجَّرَهُ طولُ ٱلضجَرْ

وجهُهُ من حجَرٍ
بينَ وجوهٍ من حَجَرْ .

٦ — ألأقنعهْ ، ألقرينهْ ، جسّرُ واترلو

لو دعاهُ عابرٌ للبيْتِ ،
للدفء ، لكأسٍ مترَعَهْ ،
سوفَ يحكي ما حكى ألمذياعُ ،
يحكي : « سرعةُ ألصاروخِ ،
تسعيرُ ألريالْ ،

جوُّنا ٱلمشحونُ بالإشعاعِ
وٱلموتى بحمّى ٱلخوفِ ،
لا ، شؤمٌ ، مُحالْ ،
طَيِّبٌ جوُّ ٱلعيالْ ،
إبتـذالْ . »
لو دعاهُ عابرٌ للبيتِ
لن يمضي معَهْ ،
لو دعتْهُ إمرأهْ ،
ربّما طابَتْ لها ٱلخمرُ
وطابَ ٱلشعرُ .. نِعْمَ ٱلتوطئهْ ..

ما بِنا، لا ما بِنا من حاجةٍ
للضوء.. أو للمدفأهْ..»

. . . .

ما لها فرّتْ وغابتْ
حلوةً كانت، وكانت طيّبَهْ!

. . . .

عَتْمةُ ٱلشارعِ،
وٱلضوءُ ٱلذي يجلو فراغَ ٱلأقنعَهْ
وقنَاعٌ مسّهُ، حدّقَ فيهِ،
لو دعاهُ؟ آه لن يمضي معَهْ

« أَنْتَ ! هلْ أَنتَ ؟ بلَى ،
لا ، استَ ، لا ، عفواً ،
ضبابٌ موحلٌ يُعْمي مصَابيحَ ٱلطَريقْ ،
إنَّ في وجهكَ بعْضَ ٱلشبْهِ
من وجهِ صديقْ . »
ـ فلأَكُنْ ذاكَ ٱلصَديقْ .
كُنْتُ أَمشي معهُ في دربِ « سوهو »
وهو يمشي وحدَهُ في لا مكانْ
وجهُهُ أَعتقُ من وجهي ولكنْ
ليس فيه أَثرُ ٱلحمَّى

وتحفيرُ ٱلزمانْ ،
وجههُ يَحْكي بأنّا توأمانْ.
ولماذا ساقني للجسرِ
حيثُ ٱلموجُ إثْرَ ٱلموجِ
يدوي يتداعى
مُدْخَنَاتُ ٱلفحْمِ تعْوي
من محطَّاتِ ٱلقطَارْ
وٱلبخَارْ
وضبابٌ كالحٌ ينبعُ
من صوب ٱلبحارْ ،

كلُّها تغزلُ حول ٱلجسرِ
حولي أفعُوانآً ، أخطبوطآً
وَسِخَ الأظفارِ ، أشداقاً رهيبَهْ ،
« مُتعَبٌ أنتَ وحضنُ ٱلماء
مرجٌ دائمُ ٱلخضرةِ ، نيسانٌ ،
أراجيحُ تغَنِّي ، وسريرْ
مخمليٌّ ٱللينِ شفَّافٌ حريرْ ،
وبناتُ ٱلماء ما زِلنَ
على ٱلدهرِ صبايا
ربَّما كانَ لديهنَّ

قواريرُ من ٱلبلسمِ ،
أَعشابٌ ، تعَازيمُ عجيبَهْ
تمسحُ ٱلتحفيرَ عن وجهكِ
تسقيهِ غِوَى سُمْرتهِ ٱلأولى ٱلمَهيبَهْ
لونَ لبنانٍ وطِيبَهْ . »
مُتعَبٌ ، دوَّامةٌ عمياءُ ،
هذا ٱللولبُ ٱلملتفُّ حولي ،
ذلك ٱلتيارُ دوني وٱلدُّوارْ ،
متعبٌ .. ماءٌ .. سريرْ ..
متَعبٌ .. ماءٌ .. أراجيحُ ٱلحريرْ ..

مُتعَبٌ.. ماءٌ .. دُوَارْ..
وتلمَّستُ حديدَ ٱلجسرِ
كانَ ٱلجسرُ ينحلُّ ويهوي ،
صورٌ تهوي ، وأهوي معَهَا ،
أهوي لِقَاعٍ لا قَرَارْ
وتلمَّستُ صديقي ، أينَ أنتَ ،
كيفَ غابْ ؟
ألضبابُ ٱلرطبُ في كفّي
وفي حَلقي وأعصَابي ضَبابْ
ربّما عادتْ إلى عنصُرِها ٱلأشياءْ

وانحلّتْ ضبابْ .

– ٧ – في عَتَمَة الرِّحِم

خفِّفُوا الوطء
على أعصابِنا يا عابرينْ
نحنُ ما مُتْنَا ، تعِبنَا
من ضبابٍ وَسخٍ ،
مهترِىء الوجهِ ، مُداجي
يتمطَّى أفعُواناً ، أخطبوطاً ،

وَأَحاجي ،
رَحِمُ ٱلأرضِ ولا ٱلجوُّ ٱللعِينْ
خَفِّفُوا ٱلوطءَ
على أعصَابِنَا يا عابرينْ ،
نحنْ في عَتْمَةِ قبوٍ مُطمئنِّ
نمسحُ ٱلحمَّى ، ونصْحو ، ونغَنِّي
نتخفَّى ،
ونخفِّي ٱلعُمرَ من دربِ ٱلسنينْ
خفِّفُوا ٱلوطءَ
على أعصَابِنا يا عابرينْ .

– ٨ – الوجهانِ

بينَمَا أمسحُ عن وجهي
تُرابَ ٱلقبرِ ، ذكراهُ ،
تلفَّتُّ ، ٱنحنَيتْ
فوقَ عَينَيْها ، رأيتْ
وجهَ طفلٍ
غصَّ بٱلدمعَةِ في مقهى ٱلمطَارْ ،
وهي تحكي ما حكَتْهُ لي مِرارْ ،

وكأنَّ ٱلعُمْرَ ما فاتَ على زهوِ
ٱلصَبايا وحكاياتِ الصِغارْ .

ـ ٩ ـ الوجه السرمدي

عشتِ في حنوةِ بيتٍ ، ما وقالكِ
أَنه بيتٌ على ٱلصَخْرِ تعَمَّرْ ،
إنَّ خلف ٱلبابِ ،
في صمت ٱلزوايا
يحفرُ ٱلْمَوجُ ، وتدوي ٱلْهَمْهَمَهْ

إنَّ في وجهكِ آثاراً
من ٱلموجِ ، وما محَّى ، وحفّرْ ،
وأنا عُدتُ من التيّارِ وجهاً
ضاعَ في الحمَّى ،
وفي ٱلموج تكسَّرْ ،
بَعْضنا ماتَ ، ٱدفِنيهِ ، ولماذا
نعجِنُ ٱلوهمَ ونطلي ٱلْجُمْجُمَهْ ؟

. . . .

أَسندِي ٱلأنقاضَ بٱلأَنقاضِ
شُدِّيها .. على صدري أطمئنّي ،

سوف تخضرُّ ،
غداً تخضرُّ في أعضاء طفلٍ
عمرُهُ منكِ ومنّي
دَمُنَا في دمِهِ يسترجعُ
ٱلخصْبَ المغنّي ،
حُلمُهُ ذِكرى لنَا ،
رجعٌ لِما كنّا وَكانْ ؛
ويُرُّ ٱلعُمرُ مهزوماً
ويَعْوي عند رِجلَيهِ
ورِجْلَيْنا ٱلزمانْ

السندباد في رحلته الثامنة

كان في نيّته ألا ينزعج عن مجلسه في بغداد بعد رحلته السابعة ، غير انه سمع ذات يوم عن بحارة غامروا في دنيا لم يعرفها من قبل ، فكان ان عصف به الحنين الى الابحار مرة ثامنة . ومما يحكى عن السندباد في رحلته هذه انه راح يبحر في دنيا ذاته ، فكان يقع هنا وهناك على اكداس من الامتعة العتيقة والمفاهيم الرثة ، رمى بها جميعاً في البحر ولم يأسف على خسارة ، تعرّى حتى بلغ بالعري الى جوهر فطرته ، ثم عاد يحمل الينا كنزاً لا شبيه له بين الكنوز التي اقتنصها في رحلاته السالفة .

والقصيدة رصيد لما عاناه عبر الزمن في نهوضه من دهاليز ذاته الى ان عاين إشراقة الانبعاث وتمّ له اليقين .

– ١ –

دارِي ٱلَّتي أَبْحَرْتِ ، غَرَّبْتِ
مَعِي ، وكُنْتِ خَيرَ دارْ
في دوخةِ ٱلبحارْ
في غُربتي
وغُرفتي
ينمو على عَتَبتِها ٱلغُبارْ ،
في مُدُنٍ تُحَجِّرُ ٱللَّيلَ بأَعصابي

فأَمضي ، أَرتمي والليلَ في القطارْ .
رِحلاتيَ السبعُ وما كنزْتهُ
مِنْ نعْمةِ الرحمانِ والتجارهْ
يومَ صرعتُ الغُولَ
والشيطانَ ... دَفْني ...
ثم ذاكَ الشقُّ في المغَارهْ ،
رَوَيْتُ ما يَرْوُوْنَ عنّي عادةً
كَتَمْتُ ما تعْيَا لهُ العِبارهْ
ولم أَزَلْ أَمضي وأَمضي خلفَهُ
أُحسُّهُ عندي ولا أَعيهِ

وكيفَ أنساقُ وأدري أنني
أنساقُ خلفَ ٱلعري وٱلخسارَهْ
هَمّي بأن أُفرغَ داري علّهُ
إن مرّ تُغْويه وتدّعيهِ
أُحسُّه عندي ولا أَعيهِ .

— ٢ —

وكانَ في ٱلدارِ رِواقٌ
رَصّعَتْ جدرانَهُ ٱلرسومْ

موسى يَرى
إزميلَ نارٍ صاعقَ ٱلشرَرْ
يحفرُ في ٱلصخرِ
وصايا ربِّهِ ٱلعَشَرْ :
ألزفتُ وٱلكبريتُ وٱلملحُ على سَدُومْ .
هذَا على جِدارْ ،
على جدارٍ آخرٍ إطَارْ :
وكاهنٌ في هيكلِ ٱلبعْلِ
يُرَبِّي أفعُواناً فاجراً وبُومْ
يَفتَضُّ سرَّ ٱلخصبِ في ٱلعَذَارى

يهلِّلُ ٱلسكارى
وتُخصِبُ ٱلأرحامُ وٱلكرومْ
تُقَوِّرُ ٱلخمرةُ في ٱلجِرارْ ،
على جدارٍ آخرٍ إطارْ :
هذا ٱلمَعرِّي ،
خلفَ عينَيْهِ
وفي دهليزِهِ ٱلسحيقْ
دنياهُ كيدُ ٱمرأةٍ لم تغتَسِلْ
من دمِها ، يشتمُّ ساقيها وما يُطيقْ
شطَّي خليجِ ٱلدنسِ ٱلمطليِّ بٱلرحيقْ

تكويرةُ ٱلنهدينِ من رغوتِهِ
وسوسنُ الجباهْ،
ألمجرمُ ٱلعتيقْ
وٱلثمرُ المرُّ الذي ٱشتهاهْ.

. . . .

من هذه الرسومْ
يرشحُ سيلٌ
مثقلٌ بٱلغَازِ والسمومْ
تمتصُّهُ ٱلحيَّةُ في ٱلأُنثى
وما في دمها من عنصر الفَجَرْ

وٱلنمِرُ ٱلأعمى وحمّى يدهِ
في غَيرةِ ٱلذكَرْ :
«لوركا »و« عُرسُ ٱلدمِ »في إسبانْيا
وسيْفُ ديكِ الجِنّ ِ في حماهْ ،
ألعُنُقُ العاجِيُّ نهْرٌ أحْمَرْ
يا هولَ ما جمَّدَهُ ٱلموتُ على الشفاهْ .
هذا ٱلدمُ ٱلمحتقنُ ٱلملغُومُ في العُروقْ
تعَضُّهُ ، تكويهِ ألفُ حُرْقَهْ
وفي حنايا دَرَجِ
في عَتْمَةِ الأزِقّهْ

حشرجةٌ مخنوقةٌ وشهقَه .

. . . .

مدينةٌ في مسرح الأُفيُونِ تستفيقْ
على صدى ٱلزلزالِ في أحشائها ،
سورٌ من النيرانِ
يُعمِي ٱلليلَ وٱلطَريقْ ،
ألعالمُ ٱلسُّفليُّ ينشقُّ ومِنْ أوكارِهِ
ينبعُ غولٌ يضربُ ٱلأحياء
بٱللَّعَنَاتِ وٱلحريقْ .
هذا الدمُ ٱلمحتقنُ الملغُومُ في العُروقْ .

- ٣ -

بَلوتُ ذاكَ الرِواقْ
طِفلًا جَرَتْ في دمهِ الغَازاتُ والسمومْ
وأنطَبعَتْ في صدرِهِ الرسومْ
وكنتُ فيهِ والصحابَ العتاقْ
نزِقّهُ اللؤمَ ، نحلّي طعْمَهُ بالنفاقْ
بجُرْعةٍ من « عَسَلِ الخليفَهْ »
« وقهوةِ البشيرْ »

أغلِّفُ ٱلشفاهَ بٱلحريرْ
بطانةِ ٱلخناجرِ الرهيفَهْ
لحلوتي لحيَّةِ ٱلحريرْ.

. . . .

سلَخْتُ ذاكَ ٱلروِّاقْ
خلَّيتُهُ مأوى عتيقاً للصحابِ ٱلعِتاقْ
طهَّرْتُ داري من صدى أشباحِهِمْ
في ٱلليل والنهارْ
من غلِّ نفسي، خِنجري،
لِيني، ولينِ ٱلحيَّةِ ٱلرشيقَهْ،

عشتُ على انتظارْ
لعلّهُ إن مرَّ أُغويهِ ،
فما مرّ
وما أرسلَ صوبي رعدَهُ ، بروقَهْ .
طلبتُ صحوَ الصبحِ والأمطَارَ ، ربِّي ،
فلماذا اعتكرتْ داري
لماذا اختنقَتْ بالصمتِ والغُبارْ
صحراءَ كلسٍ مالحٍ بوَارْ .
وبعدَ طعْمِ الكلسِ والبوَارْ
العَتْمَةُ العَتْمَةُ فارَتْ مِنْ

دهاليزي ، وكانت رَطْبةً
مُنْتِنَةً سخينَهْ
كأنَّ في داري ٱلتقَتْ
وٱنسكبَتْ أقنيةُ الأوساخِ في ٱلمدينَهْ ،
تَفُورُ في ٱلليلِ وفي ٱلنهارْ
يعُود طعْمُ الكلس وٱلبَوَارْ
وذاتَ ليلٍ أرْغَتِ ٱلعَتمةُ
وٱجترّتْ ضلوعَ ٱلسقفِ وٱلجدَارْ ،
كيفَ ٱنطَوى ٱلسقفُ ٱنطَوى ٱلجدارْ
كٱلخرقةِ ٱلمبتلّةِ ٱلعتيقَهْ

وكالشراعِ المرتمي

على بحارِ العَتْمَةِ السحيقَهْ ،

حفّتْ الرياحِ السودِ يُخفيهِ

وموجٌ أسودٌ يعلِكُهُ ،

رميهِ للرياحْ ،

أغلقتِ الغيبوبةُ البيضاء عَيْنَيَّ

تركتُ الجسدَ المطحونَ

والمعجونَ بالجراحْ

للموجِ والرياحْ.

- ٤ -

فِي شاطِيءٍ من جُزُرِ ٱلصَّقيعْ
كنتُ أرى فيما يَرَى ٱلمُبَنَّجُ ٱلصريعْ
صحْراءَ كلسٍ مالحٍ ، بَوارْ ،
تمرجُ بالثلجِ وبٱلزهرِ وبٱلثِّمارْ
داري ٱلتي تحطَّمَتْ
تَنهضُ من أنقاضِها ،
تختلِجُ ٱلأخشابُ

تلتمُّ وتحيا قُبَّةً خضراء في ٱلرَّبيعْ

. . . .

لن أدَّعي أَنْ ملاكَ ٱلرْبِّ
أَلقى خمرةً بكراً وجمراً أَخضراً
في جسدي ٱلمغلولِ بٱلصقيعْ
صفَّى عروقي من دمٍ
محتقنٍ بٱلغَازِ وٱلسمومْ
عن لوحِ صدري مسحَ
ٱلدمغَاتِ والرسومْ،
صحوٌ عميقٌ موْجهُ أُرجوحةُ ٱلنجومْ .

لن أَدّعي ، ولستُ أدري كيفَ ،
لا ، لعلّها ٱلجراحْ ،
لعلّهُ ٱلبحرُ وحفُّ ٱلموجِ وٱلرياحْ
لعلّها ٱلغَيبوبةُ ٱلبيْضاء وٱلصقيعْ
شدّا عروقي لِعُروقِ ٱلأرضِ
كانَ ٱلكفنُ ٱلأبيضُ درعاً
تحتَهُ يختمرُ ٱلربيعْ
أعشبَ قلبي ،
نبضَ ٱلزنبقُ فيهِ ،
وٱلشراعُ ٱلغَضُّ وٱلجناحْ ،

طفل يغنّي في عروقي الجهلُ ،
عريانٌ وما يُخجلني الصباحْ ،
ألنبضةُ الأُولى ،
ورؤيا ما اهتدت للّفظِ
غصَّتْ ، أبرقتْ وارتعَشَتْ دموعْ
هلْ دعوةٌ للحُبِّ هذا الصوتُ
والطيفُ الذي يلمعُ في الشمس
تجسَّدْ واغترفْ من جَسَدي
خبزاً وملحاً ،
خمرةً ونارْ ،

وحدي على ٱنتظارْ

أفرغتُ داري مرةً ثانيةً

أحيَا عَلى جمرٍ طريٍّ طَيِّبٍ وجوعْ

كأنَّ أعضائي طيُورٌ

عَبرَتْ بجازْ

وحدي على ٱنتظَارْ

— ٥ —

في ساحة ٱلْمَدينهْ

كانَتْ خُطَاها

زورقاً يجيء بالمزيجْ

من مَرَحِ الأمواجِ في الخليجْ

كانَتْ خُطَاها تكسرُ الشمسَ

على البلّورِ ، تسقيهِ الظلالَ

الخضرَ والسكينهْ ،

لمْ يَرَها غيري تُرَى

في ساحةِ المدينَهْ ؟

لم تَرَها عينٌ من العُيونْ

ألعُمرُ لن يقولْ

يا ليتَ من سنينْ
ملءُ يدي وساعدي
أطيَبُ ما تزهو بهِ ٱلفصولْ
في ٱلكرمِ وٱلينْبوعِ وٱلحقولْ ،
ألعُمرُ لن يقولْ
يا ليتَ من سنينْ .

– ٦ –

داري تعاني آخرَ ٱنتظارْ

وقعُ ٱلخطى ٱلجَريئَهْ
تُفتِّقُ ٱلمَرجانَ وٱلمرجَ
بأرض ٱلدارِ وٱلجدارْ ،
مرآةَ داري ٱغتسلي
من همّكِ ٱلمعقودِ وٱلغُبارْ
وٱحتفلي بٱلحلوةِ ٱلبريئَهْ
كأنها في ٱلصبحِ
شُقَّتْ من ضلوعي
نبتتْ من زنبقِ ٱلبحارْ
ما عكَّرَ الشَّلالَ في ضحكتها

وٱلخمرَ في حَلمَتِها

رعبٌ من ٱلخطيئهْ

وما دَرَتْ كيفَ تروغُ ٱلحيَّةُ

ٱلملساءُ في ٱلأقبيَةِ ٱلوَطيئهْ ،

إحتفلي بٱلحلوَةِ ٱلبريئهْ ،

بالصحوِ في ٱلعينَيْنِ ،

ما صحوُ ٱلشعاعِ ٱلغَضِّ

عَبْرَ ٱلنبعِ وٱلثلوجْ ،

بٱلصدرِ وٱلخصرِ ،

ترى ما تربةُ ٱلمسكِ

طريًا دافئًا
ما بيدرُ ٱلحنطةِ وٱلمروجْ
ما سُمْرةُ ٱلصَّيْفِ على ٱلثمارْ
ما نكهةُ ٱلبهارْ
ما كلُّ ما رَوَيْتْ
خلّيْتُ للغيرِ كنوزَ ٱلأرضِ
يكفيني شبِعْتُ ٱليَومَ وٱرتَوَيْتْ،
أَلحلوةُ ٱلبريئَه
تُعطي وتدري كلّما أعطَتْ
تَفورُ ٱلخمْرُ في ٱلجِرارْ

بريئةٌ جريئَهْ

جريئةٌ بريئَهْ

في شفتَيْها تُزبدُ ٱلخمْرُ

وتصفُو ٱلخمرُ في ٱلقَرارْ

لن يتخَلّى ٱلصُبحُ عنّا

آخِرَ ٱلنَهارْ .

— ٧ —

وليلُ أمسِ كانَ ليلَ ٱلجنِّ

والزوبعةِ السوداء

في الغاباتِ والدروبْ

مال إلينا الزنبقُ العريانُ

أدفأناهُ باللمسِ وزوّدناهُ بالطيُوبْ

أوَتْ إلينا الطيرُ

من أعشاشِها المُخرّبهْ

رُحنا مع القافلَةِ المغرِّبهْ

في أرخبيلِ « الجزُرِ الحيتانِ »

حوّلنا استرحنَا والتحفْنَا الليلَ والغُيوبْ ،

غريبةٌ ومثلُها غريبْ

حيثُ نَزِلْنا أرتفَعَتْ
دارٌ لَنَا ودَارْ
خَفَّ إلَيْنا ألفُ جارٍ مُتعَبٍ وجارْ
في دَوْخةِ البحارْ
وغُرْبةِ ٱلديَارْ .

— ٨ —

ولم أزَلْ أمضي وأمضي خلْفَهُ
أحسُّهُ عندي ولا أعيهِ

هَمِّي بأَنْ أُفرِغَ داري علَّهُ
إنْ مرَّ تُغويهِ وتدّعيهِ
أُحسُّهُ عندي ولا أعيهِ .

. . . .

تمضي إلى غُرفتها
تعثرُ في وَحْشتي ،
وحدي ،
مَدى عَتْمَتي
مَدى ليالي ألسهَادْ
دقّاتُ قلبي مثلُ دَلْفِ أَسودِ

تحفِرُ ٱلصمتَ
تزيدُ ٱلسوادْ ،
وكانَ ما عاينتُ ممَّا ليْسَ
يُروى عادةً أو يُعادْ :
بشرٌ جفافٌ فوَّرَتْ ،
وفوَّرَتْ من عَتْمتي منارَهْ
أعاينُ ٱلرؤيا ٱلتي تصرعني حيناً ،
فأبكي ،
كيْفَ لا أقوى على ٱلبشارَهْ ؟
شهرانِ ، طالَ ٱلصمتُ ،

جفَّتْ شَفَتِي ،

مَتَى مَتَى تُسعِفُني العبارَهْ ؟

وطالما ثُرْتُ ، جلدتُ ٱلغُولَ

وٱلأَذنابَ في أَرضي

بصقتُ ٱلسم وٱلسبابْ ،

فكانتِ ٱلأَلفاظُ تجري من فمي

شلَّالَ قطعَانٍ مِن ٱلذئابْ ،

وٱليَومَ ، وٱلرؤْيا تغَنِّي في دمي

برعشَةِ ٱلبرقِ وصحو ٱلصباحْ

بفطرةِ ٱلطيرِ ٱلتي تَشْتَمُّ

ما في نيّةِ ٱلغاباتِ وٱلرياحْ
تُحِسُّ ما في رَحِمِ ٱلفَصْلِ
تَرَاهُ قبلَ أَن يولدَ في ٱلفُصُولْ ،
تُفَوِّرُ ٱلرؤيا ، وماذَا ،
سوف تأْتِي ساعةٌ ،
أقول ما أَقولْ :

— ٩ —

تحتلُّ عَيْنيَّ مروجٌ ، مُدْخَناتٌ

وإلٰهٌ بعضُهُ بَعْلٌ خصِيبٌ
بعضُهُ جبَّارُ فحمٍ ونارْ ،
مليُونُ دارٍ مثلُ داري ودارْ ،
تزهو بأطفالِ غصُونِ ٱلكرمِ
وٱلزيتونِ ، جمرِ ٱلربيعْ
غبَّ ليَالي ٱلصَقيعْ
يحتلُّ عبْنيَ رِواقٌ شمختْ
أضلاعُهُ وٱنعَقَدَتْ عقَدَ
زنودٍ تبتنيهِ ، تبتني ٱلْمَلْحَمَهْ
ومن غِنى تربتنا تستنبتُ

ٱلبلّورَ وٱلرخامْ

تكدّسَ البلّورُ من رؤيا عيُونِ
ضوّأتْ وٱحترقتْ في حلَكِ ٱلظّلَامْ
وفرّخَتْ أعمدةُ ٱلرخامْ
من طينَةِ ٱلأقبيَةِ ٱلمعْتِمَهْ
تلك ٱلتي مصَّتْ سيُولَ ٱلدمعِ ،
مَصَّتْ رَبواتِ
من طحينِ ٱللحْمِ وٱلعِظَامْ
وٱختمرتْ لألفِ عامِ أسودِ وعامْ
فكيْفَ لا يُفْرِخُ منْها ناصعُ ٱلرخامْ

أعمدةً تنمو ويعلوها رِواقٌ أخضَرْ
صَلبٌ بوجهِ ٱلريحِ وٱلثلوجْ
أَلمحورُ ٱلهادئ وٱلبرجُ ٱلذي
يصمدُ في دوّامَةٍ تبتلِعُ ٱلبروجْ

. . . .

رؤيا يقينُ ٱلعَينِ وٱللمسِ
وليست خَبَراً يحدو به ٱلرواةْ

. . . .

ما كانَ لي أن أحتفي
بٱلشمسِ لو لم أرَكُمْ تغتسِلونَ

ٱلصُبحَ في ٱلنيلِ وفي ٱلأُردنِّ وٱلفُراتْ
من دمعَةِ ٱلخطيئهْ
وكلُّ جسمٍ ربوةٌ تجوهرتْ في ٱلشمسِ ،
ظلٌّ طيّبٌ ، بحيرةٌ بريئهْ .
أما ٱلتماسيحُ مَضَوا عن أرِضنَا
وفارَ فيهم بحرُنا وغَارْ
وخلّفُوا بعضَ بقايا
سُلِخَتْ جلودُهمْ ،
ما نبتَتْ مطرَحها جلودْ ،
حاضرُهم في عَفَنِ ٱلأمس ٱلذي

وَلّى ولنْ يَعُودْ
أَسماؤُهمْ تحرُقها ٱلرؤْيا بعَيْنيّ
دخاناً ما لها وجودْ.
ربّي ، لماذَا شاع في ٱلرؤْيا
دخانٌ أَحمرٌ ونارْ؟
أَحببتُ لو كانت يدي سيْلَا ،
ثلوجاً تمسحُ ٱلذنوبْ
من عَفَنِ ٱلأمس تنمّي ٱلكرْمَ وٱلطيُوبْ ،
تضيعُ في بحري ٱلتماسيحُ
وحقدُ ٱلأنهرِ ٱلموحلَهْ

وينبعُ ٱلبَلْسمُ من جرحِ
على ٱلجُلْجُلَه .
أَحببتُ ، لا ، ما زالَ حبّي مطراً
يسخُو على ٱلأَخضَرِ في أَرضي ،
عداهُ حطَبٌ وقودْ
تحرقها ٱلرؤْيا بعَيْنَيَّ دخاناً
ما لها وجودْ ،
وسوف يأْتِي زمنٌ أَحتضنُ
ٱلارضَ وأجلو صدرَها
وأَمسَحُ ٱلحدودْ

رِحلَاتيَ ٱلسبْعُ رواياتٌ عن
ٱلغُولِ ، عن ٱلشيطَانِ وٱلْمَغَارَهْ
عن حِيَلٍ تعْيا لها ٱلْمَهارَهْ ،
أعيدُ ما تحكي وماذَا ، عَبَثاً ،
هيهاتِ أستعِيدْ ،
ضيّعتُ رأس المالِ وٱلتجَارَهْ
ماذا حكى ٱلشلَّالُ

للبشرِ وللسدودْ

لريشةٍ تجوِّدُ ٱلتمويهَ تُخفي

ٱلشحَّ في أقنِيَةِ ٱلعِبَارَهْ ؟

ضيَّعْتُ رأس ٱلمالِ وٱلتجارَهْ ،

عدتُ إليكم شاعراً في فمه بشارَهْ

يقولُ ما يقولْ

بفُطرةٍ تحسُّ ما في رَحِمِ ٱلفَصْلِ

تراهُ قبْلَ أن يولدَ في ٱلفُصُولْ .

نظمت هذه المجموعة بين عامي

١٩٥٦ و ١٩٥٨

اعيد النظر في بعض قصائدها عام ١٩٦٠

التطور في شعر خليل حاوي
من نهر الرماد الى الناي والريح

اذا كان « نهر الرماد » يمثل المنعطف التقدمي الفاصل في الشعر عندنا ، فان ذلك عائد الى اعتماده التام على مفهوم ذلك الانفعال الجديد ، الذي يراه برغسون اساساً وجوهراً لكل خلق فني كبير . ولا يعني هذا الانفعال ، كما نلاحظ ، دافعاً او محركاً فحسب ، وانما هو دفق وعصف من الاعماق . انه سبب وليس نتيجة . انه روح خالص ، لا يجد استقراره الاخير الا في التجسيد المتواصل . بهذا الاندفاع الوجودي الصميم ، تحرر الشعر عندنا في « اناشيد نهر الرماد » من تلك العواطف الموجودة آنفاً او مسبقاً ، كما انه تحرر من كل تحجر وتقرير ،

واستجاب في هذا كله « للمعنى التاريخي » في عالم الجماليات ،هذه الاستجابة المخلصة ، التي يرتكز عليها كبار الغرب في تحسس كل ثورة ادبية صحيحة .

وقد تخلص الشعر العربي من ثم ، هنا ايضاً ، من ذلك التلهي بالتزيين البارع او الجامد لا فرق ، والذي رآه شبنجلر وقد انعكس في فن المعمار عندنا على شكل زخرفة هائلة من الفسيفساء والارابسك واللون الذهبي البراق .

وهكذا فلا عجب بعد هذا كله ان نتحمس لهذه الانتفاضة الجديدة ، وقد نذكر على سبيل المثال كيف حالت التشابيه الباهتة او البراقة دون التساؤل الوجودي في الشعر العربي ، وكيف ان تمسك شعرائنا بالجزئيات الآلية ، قد حال دونهم ودون اي تعطش لاجواء الغنائية الموحية .

وهل هناك شيء ادل على عذوبة هذه الانطلاقة في الادب القديم ، من شعر الطبيعة لفرجيل ؟

وهل هناك بساطة اكثر ايحاء من تغني هذا الشاعر بسعادة

انسان الحقول، واتجاهه بعدها الى الهات الشعر مستنجداً ، علها تخفف من اندهاشه الساذج البدائي امام اسرار الطبيعـــة ، ثم ارتداده الاخير بمحبة ورضى الى ذلك التقبل المنتعش بكنوز الطبيعة ، والوانها الغنية ؟..

ولكن الشعر في « نهر الرماد » قد تخلص من آلية الصور القديمة المجردة وجمودها ، واعتمـد في غوصه الوجودي ، على تجسيد التمزقات البشرية الهاربة المتطورة ، كما انه اعتمـــد الرموز الكثيرة لخلق هذه العوالم الغامضة ، وكان في كل ما تقدم من تجديدات مستحدثة ، رائد الثـورة الشعرية في الادب عندنا .

ولكن هذا كله ، وعلى كثرته ، لا يكفي للدلالة على مدي عمق هذه الثورة التي نحن بصددها ، والتي نراهـا ، وقد استقر الشكل الفني فيها في اروع ابداعه ، وتمـــددت تجربتها واستعمقت ، لتنطلق في اجواء اناشيد ثلاثة ، ليست من « نهر الرماد » وهي : « وجوه السندباد » ، « الناي والريح »،واخيراً

« السندباد في رحلته الثامنة »[1] .

وفي هذا التطوير الجديد يظهر المفهوم الثوري في ابعد معانيه . واذا كنا لا نزال امام تجربــة واحدة – وهــذه هي المرة الاولى في تاريخ الشعر العربي ، التي نستطيع فيها ان نتحدث عن تجربة شعرية موحدة – هذه التجربـــة التي انطلقت من تشابك وجودي حضاري سلبي ، باحثة عن اشراقــة الخلاص ، فاننا نرى في هذه الاناشيد الثلاثة الجديدة ، عزماً اكيداً على مواجهة ما في الاعماق من ضباب كالح ، ودوامة عميــاء ، وعلى الغوص النهــائي من اجل احتضان الارض البكر ، والتغــني باحلامها الزاهية .

وهل هناك حل انجح من هــذا الغوص واستكشاف ما في الاعماق وتوضيحها ، وقد دلنا كلوديــل على ان مفاتيح الكون مخبأة هناك ، وان علينا ان نستعين بها ، من اجل التوصــل الى تلك الجذور الاساسية التي نحملها في جنباتنا !

(١) كتبت هذه الكلمة قبل ظهور قصيدة « عند البصّارة » .

واذا كان ريلكه قد غاص في اعماق هذا الهرم الوجودي ، الذي نستطيع من خلاله ان نتصل بالعالم الارضي ، ومن ثم بالكون باسره ، اذا كان ريلكه قد غـــاص في هذه الاعماق لاستكشاف الله ، وبناء كاتدرائيته من جديد ، وظل في هذا كله محافظاً على الخط الالماني الواحـــد في حنينه الميتافيزيكي المتعالي ، فما هو ذلك الهدف البعيـــد الذي يمضي خلفه خليل حاوي في غوصه على الاعماق ، وما هو ذلك الخـــلاص الذى يريد ان يستكشفه لنا ، والذي يريده منبثقاً من عندياتنا ؟..

وهكذا تطل الاشراقة الاولى لتنير عتمات هذا الشوق المبهم ، ومحاولته التشبث بجذور الوحدة الصافية ، والانسجام الضائع .

وينحني الشاعر متطلعاً متلفتاً خلف عيني هذه المرأة الـتي يريد ان يحتفل بقدومها ، فاذا بــه يرى وراءها وجه الطفولة الحلوة، وجرأتها البريئة. ويحاول ان يتمسك بطفلة الامس هذه، ولكنه ما ان يرتد متحسساً وجهه المنسوج من شتى الوجوه ،

حتى يغيب وجهها وسط ضجيج الصور المتحجرة المزورة، وفراغ الاقنعة المتزاحمة .

وهنا ، وفي هوة اجواء الضباب الموحل ، والقاع الوجودي المعتم الذي لا قرار له ، كان لا بد من اشراقة اخرى ، وكان لا بد من هذا الحوار النفسي الجسد ، الذي يتلمسه كبار الشعراء ، حين يحاولون صراع الجفاف والقحط والتبعثر .

وكما ان صحائف مالتي برجه ، كانت مرآة اوجدها ريلكه كي يختبر نفسه من خلالها ، ويحاول من ثم ان يوجد اسساً جديدة لحياته – وصحائف مالتي برجه هذه كتاب نثري يمثل المعاناة الوجودية في طرفها السلبي – هكذا فان خليل حاوي ، قد حاول بطريقته الشعرية الابداعية الخاصة ، ان يتحسس في مرآة قرينته العتيقة ، ذلك الوجه الاسمر الطري ، الذي لا يعرف تحفير الزمان .

ولا غرابة بعد ذلك كله ، ان تنطلق من هنا انغام الحب

محلقة في اجواء اثيرية سحرية ، قد تذكرنا بندرة ابداع هذه الانطلاقات الخلاقة حتى في الادب الغربي . وهي اما رثائية تفجعية تنبع من اعماق ذلك الناي الحزين الذي كان يحز في عصب الشاعر،او انها اخيراً منتشية سعيدة تتغنى بمرح الامواج، واهازيجها المعطرة .

وهي في كلتا الحالتين شعلة حدسية مندفعة ، قد اتلفت عمارة « نهر الرماد » ، واتلفت معها كل ما قذف به هذا النهر من حشرجات مخنوقة ، ورموز معتمة .

وهكذا اختفت عوالم « البحار والدرويش » ، « وتفاهة المضغة في جوف الحوت » ، « وكهف الدب القطبي المنطمس الجدار » ، « ومغارة العالم السفلي من ارض الحضاره » ، كما اختفت معها ايضاً اجواء تلك المرأة المتعبة ، وما كانت توحي به من جوع وجنون واعياد ذليلة . ولكن هذه الشعلة الحدسية العارمة ، لم يكن بامكانها ان تقف بالشاعر عند هذا الحد من الاكتفاء بالحب الذاتي الرفيع .

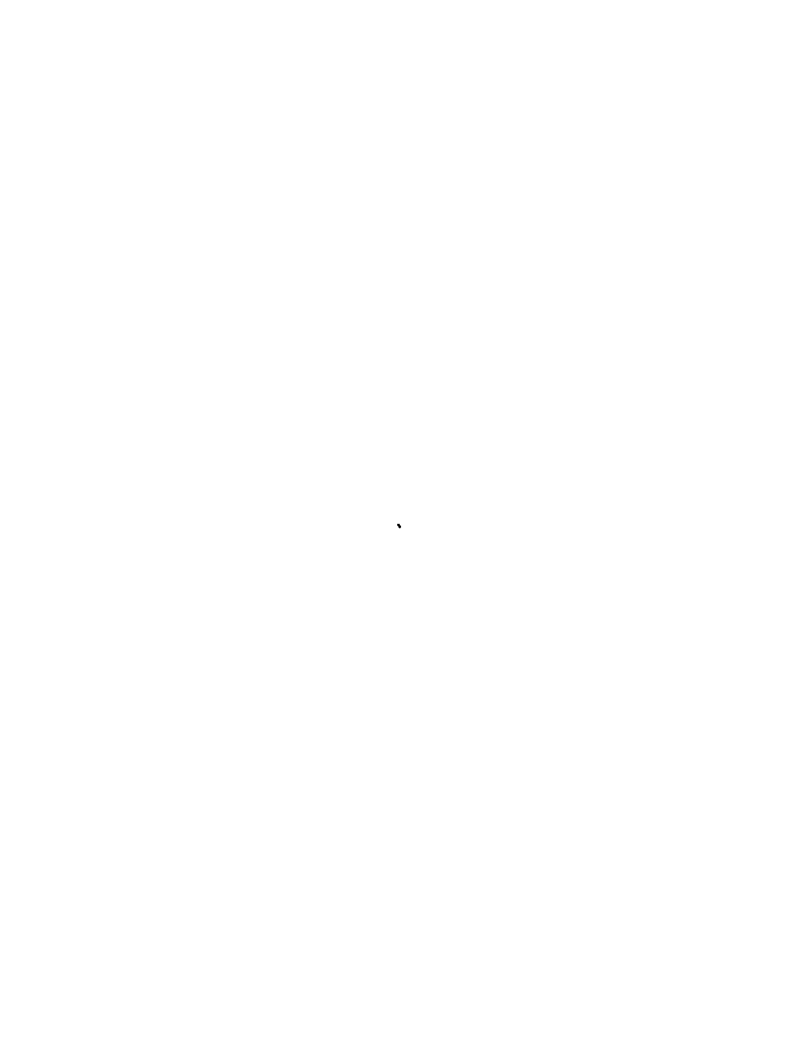
انها مشتاقة الى شيء « تحسه عندها ولا تعيه » . انها مشتاقة الى تلك الريح الغضوب ، التي تنبع من يدي بدوية الشاعر السمراء ، الى تلك الريـــح التي تعصف بتحجر الحاضر وتماسيحه ، وتعـــود بالصحراء البوار الى عهد الثلج والزهر والربيع .

وينطلق الشاعر من هنا الى تحقيق مفهوم الانفعال الخلاق في اصفى معانيه ، فيبحر في دنيا ذاتـــه من جديد ، ويندفع وراء هذا الابحار بعاطفة ديناميكية متحررة ، مستكشفاً لنا من خلال « وثبة المحبة » هذه ، على حد تعبير برغسون ، اسمى ما يمكن ان نحتاج اليه من حلولية ايجابية ، وتعانق بناء . وتطل علينا الرؤى الزاهية حقائق ماثلة للعيان ، فنتحمس لتلك التربة التي « تستنبت البلور والرخام » ، ولذلك « الرواق الشامخ الذي يزهو باعمدة الجباه » ، ونردد بمحبة ونشوة انغام هذه الملحمة وهي في طور البناء .

وهكذا تتحقق رؤيا الشاعر اخيراً ، وتتسامى في اجواء

الغنائية المشرقة جارفة امامنا كل ماتمثله الشاعر في حياته بالامس من اختصار بارع لمراحل التاريخ واحداثه البعيدة ، وكل ما كنا نتعثر به ، في تلك الدهاليز المعتمة ، من « نهشة الواقع »، وتمزقات الفناء .

عفاف بيضون



قصيدة النَّاي وَالريح

من مقالة للشاعرة
سلمى الخضرا الجيوسي

الناي والريح من شوامخ قصائدنا المعاصرة . خليل حاوي هنا صعب المراس معقد التجربـة حتى ان معانيه خفيت على الكثيرين من قراء ادبه عندنا في دمشق. ولكن صعوبة القصيدة هنا تزيد في اغرائها .

في (هذه القصيدة) مر خليل حاوي بالتجربة وعبر جسر التنهدات مرة اخرى ولكن الى عـالم الانطلاق ، وكثيرون هم الذين يبتلعهم سجن«الدوجي»فلا يعبرون الجسر الا مرة واحدة..

الى الظلام . هذه هي تجربة خليل الوجودية التي تمناها في « نهر الرماد » ولم تقبل شفتيه بحرارتها الصادقة والتهابها النابع من خلجات القلب لا من اخيلة العقل ووحي الارادة — الا هنا .. في هذه الرائعة المزدهية بضفائر بدويته السمراء .

تفسير القصيدة :

تظهر القصيدة وكأنها لا تتمتع بوحدة عضوية كاملة ، ولكن الامر عكس ذلك . تنقسم القصيدة الى اربعة اقسام .

القسم الاول : خليل وصومعته في الجامعة ـ كرهها ، ثار عليها .

القسم الثاني : الناي وذكريات الاهل والخطيبة — يريد ان ينشق عن حياته القديمة وارتباطاتها .

القسم الثالث : الريح هي التي تجذب خليلاً من صومعته ومن اهله وخطيبته ليعيش وجوده وليعانق الحياة العربية الجديدة باتساعها وتدفقها وغضبها وثورتها ومرارتها الحلوة .

القسم الرابع : الناسك في خليل – الطالب الذي ينازعه وجوده الحر ويشده الى مقعد الدراسة .

« ربي متى انشق عن اهلي وصومعتي
وعن تلك التي تحيا ، تموت على انتظار »

. . . . . .

« كذبٌ !
دمي ينحرُ ، يشتمني ، يئن
الى متى أزني وابصق جبهتي ، رئتي
على لقب وكرسي أضاجع مومياءْ » .

انه يرفض كل ارتباطات حياته العادية – الطالب الساعي وراء اللقب والكرسي الذي يقضي اوقاته في صومعة الدراسة بين الاقلام والمحابر والورق العتيق – المرتبط بواجباته نحو والديه اللذين ينتظرانه ليحمل همهما :

« ابني ، وقاه الله ، كنز أبيهِ
جسر البيت ، يحمل همنا ، هماً ثقيلْ » .

ونحو خطيبته التي لطول ما انتظرت عودته تكاد تيبس وتموت :

« ولربما ماتت غداً تلك التي يبست على إسمي
ومصّ دماءها شبحي
وما احتفلت بلذات الدماء
طول النهار ، مدى النهار
تنحل في عصبي جنازتها .

انه يعاني صراعاً عنيفاً لاجلها ولكنه يريد ان ينشق عنها وعن اهله وعن صومعته ليعبر في جحيم التجربة ويخوض عتمة المعاناة ونارها فلعل يصح الشعر في شفتيه .

فأما الناي فاني افهمه على انه يرمز الى الذكريات والحزن والفراق ، واما الريح فأفهمها على انها تعني ريح البعث العربي .

الناي لا يهمه - بل انه يعاني المرارة الشديدة من ارتباطاته ويتمنى بكل ما اوتي من شوق ان يستقل بوجوده ويعززه -

ان يشعر بأنسانيته التي تطورت وتفجرت ان ينحل من قيود الحياة التقليدية ومراسيمها – ان يصبح الشاعر الذي يريد .

. . .

هكذا تدور ايام بالشاعر – والصراع يأكل رأسه – والناسك فيه يلح عليه ان يتابع دراسته ويتهمه بالجنون :

« هل جننت فرحت تحلم في النهار
هل كنت تتبع ذلك الجني ؟ »

وهو يجيبه : بل كنت

« وحدي مع البدوية السمراء
كنت مع العباره
في الرمل كنت اخوض عتمته وناره » .

وطول النهار ومدى النهار تتوارد امام عينيه صور امه وابيه وخطيبته والناسك المخذول في رأسه - حينا يدعوه الشوق لمعانقة الريح الجنوبية الممطرة – لمعاناة التجربة ولخوض

الطريق الوعر الى ذروة الفن الوجودي الاصيل الذي يتحسس خلاله الشاعر قيمة حياته الانسانية ومغزى وجوده ومعناه ، على صعيد انساني قومي شاسع .

اتراني بحاجة لان انبه القارىء لهذه التشابيه والعبارات الرائعة التي امتلأت بها هذه القصيدة الممتازة ولهذه الصور الحسية الحية ؟

تلك التي يبست على إسمي ..
ماتت مع الناي الذي تهواه
يسحب حزنه عبر المساء . »
وصورة البدوية السمراء التي
نهضت تلمُّ غرور نهديها ..
تحدو ، تدور كما اشير بأصبعي ..
وتزوغ زوبعة طروب ..
وأرى الرياح تسيل ، تنبع من يديها ...

. . . .

او للوطن الكبير الذي يريده ان :
يزهو بغابات من المدن الصبايا
لين ارصفة وجاه ! » .
او للطاووس المغرور الذي
يبحر في مراوح ريشه .
وهذه العبارة الرائعة « ايصح عبر البحر تفسيخ المياه ؟ »
كيف يفرق البيت الواحد والوطن الواحد
او استعماله للتعبير الشعبي
إبني – وقاه الله ، كنز ابيه ، جسر البيت

اني اشعر بعد ان حاولت تفسير هذه القصيدة والالماح الى جمال بعض صورها اني لم اعمل بعد شيئاً ... لا بد قد وضحت للقاريء الذي صعب عليه فهمها للمرة الاولى شيئاً من ارتباطاتها والماحاتها وتجربتها التي تنبثق عن نفس الشاعر لتشمل عالمه كله . ان ابهامها الذي يجبهنا لاول وهلة يجب ان لا يعتبر منقصة لها . ولعل الاستعانة هنا بما قاله ريتشاردز تفسر ما اعني ،

قال : « ان الكثير من افضل الشعر مبهم في تأثيره الاول ، حتى ان ادق القراء واشدهم تجاوباً يضطرون ان يقرأوا القصيدة مرة اخرى ، وان يجهدوا انفسهم قبل ان تتجسم القصيدة في عقولهم بصفاء ووضوح . ان القصيدة المبتكرة تجبر العقل على التوسع (ترجمتها الحرفية : على النمو) ، وهذا يتطلب وقتاً » . وفي الحقيقة ان هذه القصيدة تستحق الجهد الذي نبذله لاجلها . قد يكون هناك من يقول انها تساوق التيار الفكري الاني في بلادنا – وان هذا يقلل من قيمتها كشعر خالد عندما يضعف الحماس العام لهذا التيار الفكري ولكنها .. قد تجنّبت الكليشهات والالحاح على العواطف القومية التقليدية المألوفة وجسدت التجربة الذاتية العميقة التي تشمل الشاعر وكل عالمه واعتمدت على عنصر المعاناة والعذاب والحب والشوق والكراهية والضجر المنبثقة عن اعمق اعماق النفس الانسانية لاعلى عناصر الحماس الاني والاعجاب والاندفاع الجماهيري . انبثاقها عن ذات الشاعر وتوحيدها بين المشاعر

القومية من ألم وغضب وفخر وامل وبين المشاعر الشخصيــة يعطيانها قيمتها الفنية النادرة . انها قصيدة لم تكتب كي تثير افكارنا ، بل كي تتسلم ازمة اتجاهــاتنا الشعورية برموزها العاطفية (البدوية السمراء ، الناي ، الريح ، الطــاووس ، الناسك) الجديدة الطازجة ودفقات مشاعرها الغريبة والمألوفة في آن واحد .

انها قصيدة يجب ان تدرسها شبيبتنا وان تلقى عناية كبرى في الاوساط الادبية .

سلمى الخضراء الجيوسي

وجوه السِّندَباد

يعود السندباد من رحلة غير رحلاته في القديم . يرى طفلة أمسه وقفت في العمر عند وداعه ، فعمّرت من الذكرى بيتاً تجمدت حياله الحياة فما لعبت فيه شمس وريح ، وما دخلته تجربة . في وجهها وفي الجدران آثار موج خفي صامت ، رمز الزمن في القصيدة . يرى تلك الآثار ولا تراها يذكر اندفاعه في الدوّامة الحرّى يتملى الثواني فتمتص منه بقدر ما يمتص منها ، ويتلقى التجربة بوجه مشرّع فتمسح ملامحه وتكوّن له ملامح . ومتى علمنا ان الوجه يرمز الى كامل الذات أدركنا ان السندباد في رحلته هذه كان ذاتاً بلا ماهية تسعفه على

التماسك في دوامة الزمن ، وتشد ماضيه الى حاضره بجوهرها الثابت . اذا صح هذا التعليل يكون السندباد رمزاً للانسان المعاصر في انفراط شخصيته وضياعه . ومن ثم يتضاعف معنى الدوامة من حيث هي رمز يجسد معاناة السندباد للزمن المتدافع الهارب ، ولوجود تحطمت فيه الماهيّات واستحالت الى مادة سيّالة تتشكل احياناً باشكال لها مظهر الثبات دون جوهره . احسها السندباد في عهد العنفوان وحرارة العروق موجة واحدة من طرب وصخب وثار في دمه وفي الشمس وفي وهج الثمر وخوابي الخمرة . ثم يليه عهد الرعشة الباردة والانطفاء فتنحل ذات السندباد الى ضباب ، ويخيل اليه ان الاشياء نفسها عادت الى الضباب ، عنصرها الاول وجوهرها .

في غمرة الضياع يجتاحه هذيان حنين الى دفء الحب والعائلة والصداقة يولّد امرأة يضمها فتفرُّ من يديه ، ويولّد صديقاً ، « قرينة » ، هي ذات السندباد وقد تمثلت له بشراً سوياً . يقوده هذا « الصديق القرينة » الى جسر واترلو حيث الموج

يدوي ويتداعى . انها ذات السندباد تغويه وتغريه بالقاء نفسه في الماء . لقد تعبت من معاناة الحياة دوّامة بلا معنى . الى اين يلجأ ؟ لجأ من قبل الى كنوز التاريخ وتحف الفن فلم يجد فيها معنى الراحة والخلود ، وكان ان احال الضجر وجهه الى جماد الحجر . ذاته تتشكل بشكل التجربة التي تعانيها . والان يضيق بالضباب فما يجد ملجأ في غير المقاهي السفلية ، في رحم الارض حيث تمسح العتمة تحفير الزمان عن وجهه وتوليه بعض الطمأنينة . ومن هذه القرارة تنشط قواه ويأخذ بالصعود الى واقع الحياة ليدخل في صلح معه . انها الحكمة التي اجتناها من تجاربه .

اما المرأة التي عاد اليها السندباد فليس لها حكمته . لقد دفعت ثمن الامان من الدوامة الحرى – وهي لا تدري – حياة من الوهم والجمود . يتردد السندباد بين الاشفاق والثورة على امرأة ما تزال طفلة تعيش في وهم الذكرى حيث تختلط حدود الزمن فما تدري أغادرها السندباد من دهر ام غادرها البارحة

ويقوى عليها الوهم فتضم فيه صبياً طريّ الصـــدر والوجه . يثور ويريدها ان تقبل بوجهه المحفّر او ترفضه ، وهي لا ترى التحفير . ولا تخلو ثورته من القسوة على واهمة إنْ تمزق وهمها تمزقت حياتها معه . والمأساة ان حبها يجب ان يبنى على حقيقة الواقع ، بدء الانتصار عليه . ترى هل يخفف عنها ان تجـــد ذكراها في حلم طفلها العتيد ، قطرة من دمها لن يتغلب عليها الزمن المتغلب على الحديد والحجر ؟

قيل ان في شعر خليل يتحد الخاص بالعام ، وفي هـــذه القصيدة بالذات تتحد رحلة السندباد بما هي رمز لحياة الانسان المعاصر ، برحلة الشاعر وما عاناه من ضباب لندن ، ومن وحشة في شوارعها ، يذكر منها شارع « سوهو » والطريق المؤدية الى جسر « واترلو » .

وقيل ان في شعره تنصهر الذات والوجود : والشاهـد على ذلك حلولية تلك الموجة الواحدة من نار أوضباب فيه وفي اشياء الوجود جميعها . حلولية لم يعرفها غير شعر المتصوفة والشعراء

امثـــال بودلير ورمبو وييتس الذين يفهمون الشعر مجازفات واكتشافات في اغوار النفس والوجود .

وتتنوع الايقاعات بتنوع الحـــالات النفسية من طرب ، وذكرى موجعة ، وحوار باطني ، وغناء صرف . وكذلك الصور المستمدة من الواقع المحسوس تعبر عنه وتجسد ما فوقه من حالات داخلية واكتشافات في اغوار الوجود ، فتتضـاعف معانيها وتتعدد مستوياتها . وترد الصور الخطافات متلاحقة تشد بعضها الى بعض حتمية داخلية ، لا منطقية ، اشبه بالمشاهد السريعة على الشاشة البيضاء . انه الشكل والعبارة وقد تكيّفا بالتجربة وانسلخا من صميم طبيعتها ، والشعر وقـــد خلا من التقرير والتجريد .

« الحكمة »

السندباد في رحلته الثامنة

من مقالة للشاعر
احمد معطي الحجازي

... فالشاعر العربي يجد نفسه الان في نقطة الصفر ، في اللون الرمادي ، في اللحظة التي لا يعرف إن كانت من الليل او من الفجر حيث يغطي الضباب كل شيء في مملكتي الليل والنهار ، وحيث لا يستطيع الشاعر ان يرى وانما يمكنه ان يجس ويحدس ويظن ويحلم . انه يقف في الشريط الضيق الذي

تتوسطه هاوية تهوي فجائياً وقمة تقوم فجائياً ، وهو موقف حاد صارخ . فالنهضة لم تأت تطوراً وتدرجاً وانما جاءت ثورة وانقلاباً شاملاً ، وفي الثورة تموت القيم القديمة كلها ولا يبقى منها في ارض المعركة الا جثث شوهاء بلا معنى ، وتشرق القيم الجديدة معاني في الحسبان بلا اشكال ... ان الصورة الواقعية على مفترق الطرق غير موجودة ، ولذا ففرصة شاعر هذه المرحلة في ان يكون مغنياً رومانتيكياً جد ضئيلة . فالذي يستوقفه في هذه المرحلة ليس الصورة وانما الفكرة ، والفكرة اشمل من ان تعبر عنها قصيدة غنائية تعامل الواقع بحب واحترام. واذا كان بعض النقاد يقولون ان الفن هو اعادة بناء العالم ، فهذا القول يتحقق اصدق ما يتحقق بالنسبة للشاعر العربي الحديث .

انه مطالب باعادة بناء العالم في شعره . مطالب بالاقتراب من الرياضي والفيلسوف اللذين يتعاملان مع الجوهر ممثلا لديهما في القضية والعدد ، والذي يتمثل لدى الشاعر في الرمز .

انه ثائر ، وفي الثورة نتخلص من اسر الشكل والصورة والتقليد والعادة ، اي اننا نصبح في ابهر لحظة من لحظات حريتنا فنحلق على الحقائق الكلية ، ونخلق علاقات جديدة بين الاشياء ، ونكتشف فيها امكانيات ومعاني لم نكن نكتشفها من قبل : اي اننا نصبح مع الرمز وجهاً لوجه ...

ولكن هناك فرقاً بين الرمز الأوروبي والرمز العربي ... لقد كان الرمز الاوروبي نتيجة الهروب من الواقع الى الغيب : بينما ينشأ الرمز العربي نتيجة الثورة على الواقع الفاسد والطموح الى واقع امثل ...وهذا الفرق في النشأة يترتب عليه فرق آخر في الوظيفة هو ان رمز الهروب خلاص فردي يحقق به الشاعر راحته النفسية ، ويصطفيه بمزاج ليكون آخر ما يربطه بالواقع ...

ولقد كان رمبو يعرف ذلك ، يعرف انه ينشيء عالماً خاصاً به ، وكان مصيباً حين نعت ذلك بانه جنون، انه يستهل قصيدته « كيمياء الفعل » قائلاً :

اليك نبأ من جنوني .

ثم يقول :

في الهواء طعم رماد ... وزهور صدئة ...

وهمهمة القوارب في الحقول ...

ولم اعثر على الجواهر والعطور.

هذا هو رمز الهروب ، عالم صارخ مغلق . اما رمز الثورة فهو رمز النبوة الذي يلتقي عليه كل من فيهم استعداد للثورة . اعني ان الرمز العربي يجب ان يحمل الرفض والبشرى معاً ، بخلاف الرمز الاوروبي الذي كان رفضاً فقط ...

السندباد في رحلته الثامنة ــ خليل حاوي

ان السندباد في الف ليلة هو ذلك المكتشف الذي لا يهدأ له بال ولا يستقر في مكان ولا يشبع من المغامرة .

ولعل اول من اكتشف هذا الرمز هو الشاعر صلاح عبد الصبور ، ثم تبناه بعد ذلك عدة شعراء ، ولكن خليل حاوي

من بين هؤلاء جميعاً هو الذي الح عليه حتى استخرج منه امكانيات باهرة كما استطاع في رحلته الثامنة .

والقصيدة عشرة مقاطع .

في المقطع الاول منها يكشف السندباد عن وجهه الجديد...
انه ابن بار لوطنه فهو وان تركه لم يفعل عقوقاً ونكراناً ، بل لقد كانت داره معه :

وكنتِ خيرَ دارْ
في دوخة البحارْ .

وهو لا يسافر من اجل السفر ولا يغامر من اجل المغامرة ، ولكن يمضي خلف الحكم الذي :

أحسه عندي ولا أعيهِ

وهو ليس منساقاً :

وكيف أنساق وأدري أنني
أنساق خلف العري والخساره ،

انه يضحي بوعي .

اما المقطع الثاني فيصور الواقع الذي خرج منه سندباد . انه واقع مريض متخلف تشده الاتجاهات المتناقضة . فالوصية الدينية ما زالت مرسومة على الحوائط ، ولكن الكاهن هو اول من يتنكر لها ويستجيب لشهواته . وفي مقابل الكاهن الرجيم هناك الزاهد المتشبه بالمعري . وغير هذا وذاك هناك من يعيش عبداً للتقاليد الاجتماعية التي ما عادت تعبر عن قيمة خلقية ، ولم يبق لها الا معنى الموت والجريمة .

والشاعر في هذا المقطع يحشد رموزاً كثيرة استخرجها من الدين وتاريخ الادب العربي والثقافة الاوربية . ولعله اراد بذلك ان يقول انحياتنا الحاضرة نهب لعدة ثقافات مختلفة متناقضة.

وفي المقطع الثالث يصور الشاعر بواسطة جو موسيقي معتل كيف عاش اول عمره في هذا الوطن :

طفلاً جرت في دمه الغازات والسموم
وانطبعت في صدره الرسوم

وكيف انسلخ عن هذا الجو بعد ذلك تاركاً رفاقه في المقهى ،

نازعاً من نفسه اثارهم ، منتظراً صباحاً جديداً لهذا الوطن ولكنه لم يكن يرى الا الصحراء المالحة البوار ثم :

أغلقت الغيبوبة البيضاء عينيّ تركت الجسد المطحون
والمعجون بالجراح
للموج والرياح

وتنقله السفينة للمقطع الرابع :

في شاطيء من جزر الصقيع
كنت ارى فيما يرى المبنج الصريع
صحراء كلس مالح بوار
تمرج بالثلج وبالزهر وبالثمار .

ان سندباد هنا يبلغ قمة طهره وصفائه ويخلع نفسه القديمة ويتأهب للنبوة كما تأهب لها عيسى ومحمد عندما شق الملاك صدريهما وغسلهما من اثار ما قبل النبوة :

لن أدعي ان ملاك الرب القى خمرة بكرا وجمرا اخضرا
في جسدي المغلول بالصقيع

صفّى عروقي من دم محتقن بالغاز والسموم
عن لوح صدري مسح الدمغات والرسوم
صحو عميق موجه ارجوحة النجوم
لن ادعي ولست ادري كيف ، لا ، لعلها الجراح
لعله البحر وحف الموج والرياح
لعلها الغيبوبة البيضاء والصقيع
شدا عروقي لعروق الارض كان الكفن الابيض درعاً
تحته يختمر الربيع .

ان اللون الابيض هنا ، كما هو الرمز بين الاوروبيين ، يدل على عالم الطهر الملائكي الذي تتجرد فيه النفس من ادران العالم وتتصل بالجوهر :

النبضة الاولى ورؤيا ما اهتدت للفظ غصّت
ابرقت وارتعشت دموع
هل دعوة للحب هذا الصوت والطيف الذي يلمع في
الشمس ؟ تجسد واغترف من جسدي

خبزاً وملحاً خمرة ونار
وحدي على انتظار

انه مقطع رائع حقاً لعب فيه خليل حاوي باللون الابيض كابرع ما يلعب شاعر كبير . لقد اراد ان ينقل سندباد الى جو الحقيقة ، فوجد ان هذا الجو يتحقق في جزيرة من جزر الصقيع ، حيث لم يبدأ واقع بعد ، وحيث تقف الحقائق العارية كالطيور المبتلة منتظرة مطلع الشمس وابتداء الحياة .

ويأتي ملاك الرب فيصفي عروق سندباد من دمها الفاسد القديم ، ويستسلم سندباد للغيبوبة البيضاء .. هذا التعبير الرائع عن الحلم ، عن اليقظة الكاملة التي يبهر الانسان ما فيها فلا يستطيع ان يتحرك وكأنه في غيبوبة كاملة .

واخيراً يتحرك سندباد فيجد ان عروقه مشدودة لعروق الارض ، لقوانين الطبيعة :

كان الكفن الابيض درعاً تحته يختمر الربيع
اعشب قلبي ، نبض الزنبق فيه والشراع الغض والجناح

طفل يغني في عروقي الجهل ، عريان ،
وما يخجلني الصباح

وينتهي المقطع الرابع بالنبضة الاولى، بالتمهيد للنبوة.

ثم يأتي المقطع الخامس موسيقى حالمة راضية مفعمة بالغبطة لان ملاك الرب اختار سندباد ...

والمقطع السادس تكرار للمقطع السابق بموسيقى مرتبكة وباضافة غنائية هي اهابة سندباد بوطنه ان يتهيأ ليستقبل بشارته . اما المقطع السابع فيعبر عما قبل الثورة ... عما قبل الزلزال حيث تحس الحيوانات والطيور به قبل ان يحدث فتخرج على رتابة حياتها وتنطلق في كل اتجاه .. يجوس الجن في الليل وتثور الزوبعة السوداء في الغابات والدروب :

اوت الينا الطير من اعشاشها المخربه
رحنا مع القافلة المغربه
في ارخبيل « الجزر الحيتان» حوّلنا استرحنا
والتحفنا الليل والغيوب .

والكائنات الخفية التيخرجت تجوس في الليل والجو الغريب واللون الاسود رمز لتسلل القلق الى واقعنا المظلم وللخلل الذي اصاب ناموس هذا الواقع نتيجة للقلق ففضحه واخرج ما فيه.

وفي المقطع الثامن يعود سندباد الى انتظار البشارة « انه يحسها ولا يعيها» ان قلبه يدق وشفته تجف ويمتد حوله الصمت، ثم تضيء الرؤيا في دمه :

برعشة البرق وصحو الصباح
بفطرة الطير التي تشتم ما في نية الغابات والرياح
تحس ما في رحم الفصل تراه قبل ان يولد في الفصول
تفوّر الرؤيا وماذا ، سوف تأتي ساعة اقول ما اقول .

ونلاحظ ان الشاعر في هذا المقطع يعود فيستعير من الرواية الدينية تصويرها لكيفية نزول الوحي على النبي محمد ، كان قلبه يدق وعرقه ينزل وشفته تجف ويظل صامتاً حتى يذهب جبريل الملاك الموكل بالوحي . وفي هذا افصاح تام عن ان الشاعر يصور بعثاً عربياً جديداً .

وتأتي الساعة وتنبلج الرؤيا كالشمس لعيني سندباد :

تحتل عينيّ مروج، مدخنات ، واله بعضه بعل خصيب
بعضه جبار فحم ونار
مليون دار مثل داري ودار
تزهو باطفال غصون الكرم والزيتون ، جمر الربيع
غب ليالي الصقيع
يحتل عينيّ رواق شمخت اضلاعه
وانعقدت عقد زنود تبتنيه تبتني الملحمه .

هذه الرؤيا ، دنيانا الجديدة التي نراها في ضمير الغيب محمولة على الغصون الخضراء والمداخن والزنود ، فيها مليون دار مثل دار السندباد لان من حق جميع الناس ان يعيشوا وان يكون لهم اطفال كغصون الكرم والزيتون اشراقاً وسلاماً . والرؤيا يقينية «رؤيا يقين العين واللمس وليست خبراً يحدو به الرواة » .

وهي تعبير عن واقع حي يعيشه ملايين العرب على شواطيء

انهارهم المقدسة :

ما كان لي ان احتفي بالشمس
لو لم اركم تغتسلون الصبح في النيل وفي الاردن والفرات
من دمغة الخطيئه
اما التماسيح مضوا عن ارضنا ، وفار فيهم بحرنا وغار
وخلفوا بعض بقايا سلخت جلودهم
مــا نبتت مطرحها جلود
حاضرهم في عفن الامس الذي ولى ولن يعود
اسماؤهم تحرقها الرؤيا بعيني دخانا ما لها وجود
ربي لماذا شاع في الرؤيا دخان احمر ونار ؟
انها الثورة .

ويحصي سندباد في المقطع العاشر نتائج الرحلة ، فيجد انه ضيع رأس المال ولكن :

عدت اليكم شاعراً في فمه بشاره
يقول ما يقول

بفطرة تحس ما في رحم الفصل

تراه قبل ان يولد في الفصول

هذه هي القصيدة وهي قصيدة رائعة بذل فيها الشاعر مجهوداً ضخماً ليعبر عما تحمله من مضمون ضخم وهي تستحق من قرائها نفس المجهود حتى تصل اليهم . ولقد كان الشاعر عند حسن الظن به فلم يسرق النار ليلعب بها كما يلعب الحواة ، وانما لينضج طعامنا وليوقفنا مع الآلهة جنباً الى جنب .

ان خليل حاوي شاعر جاد يرهق نفسه وراء الشعر العظيم ويحصل على شيء ليس قليلاً منه .

رؤيا ونغمة مكتملة

بقلم الاستاذ اميل معلوف

السندباد في رحلته الثامنة قصيدة جمعت الى عنصر الثقافة والخلق الفنيعنصراً آخر تلاشت فيه الثقافة بما هي محصل معرفة وجمع لترفد الابـداع واذا الكل في وجهة التوق الى الكمال الحق .

يبلغ السندباد في رحلته الاخيرة نهاية النهايات ، ذلك انه في مجـــال استكمال الغاية التي يسعى اليها قد وقع تحت حكم الضرورة الموحدة للذات من بين متناقضات الكون . وانه في سعيهالدائب قد وعى الوسيلةالحتمية التي تصله بالغاية المؤلفة عن طريق البرء الداخلي، لا عن طريق المقدّر العجيب . سرّ ما في

السندباد انه فــاعل في الوجود ، متحرك بفعل الغريزة التي صفّاها عود الى منبعها الاول ، فـأضحت ناراً تحيي ، لا ناراً ترمد . وما عود الذات الدنسة الى منبعها سوى قهر « الغــاز والسموم » في خلاياها وتنقية «الدم المحتقن الملغوم » في عروقها.

يستهل الشاعر قصيدته بذكر خبر السندباد الذي اختاره ليعبر به عن انسانه ، كما اختار قبله صلاح لبكي آدم في « سأم »، وكما فعل دي فيني منذ قرن عندما اختـــار « عمانوئيل » في قصيدة « الطوفان » للغرض نفسه .

يروي السندباد مغامراته خلال رحلاته السبع . انه يذكر الدار تبحر معه بكيــان مستقر ، ذلك انه لم يشأ ان يتنكر لماضي ايامه بما يحمله هذا الماضي من تبذّل وفجور . ذكر الدار هنا على علتها عمدة في القصيدة . انها الوجه اللاهي الذي يسخر من الاخلاق، والدين ، والحاضر المجدد. فهذه القوى تنتقض على نمط العيش النامي في احضان الاثم . كيف كان يتأتى لنا ان نسبغ على البيت الجديد حيوية ظاهرة وان نبرر غور المستنقع

ونشوء بناء على ارضه يلم الشتات لغاية نبيلة ، لو احجمنا عن ذكر الجوهر التاريخي لحياة السندباد ، الممثلة بالدار الملوثة .

كان صاحب القصيدة في « نهر الرماد » يمنّي نفسه بمأوى ينهض به من شارع موحل ، من دهليز لعين ، من فندق مخرب ، ومن بيت متداع ثل فجرفته المياه . انه الان اكثر وثوقاً من ذي قبل ، لان التجربة قد لبست شكلاً ايجابياً هذه المرة . لقد نقل السندباد حياة البار والدهليز الى داره في مستهل عهده ليبرر قضاءه فيما بعد على التعسف الخلقي ، ورفاق اللذة . فالدار وان كانت متحف رسوم «ساديّة» لا تزال داراً بمفهومها البنّاء .

يعمد الشاعز الى الرمز . فيبين لنا موقفه وموقف شعبه من المرأة . ثم لا يلبث ان يتنكب لتجربة الجماعة . فيميل الى العزف المفرد ، حتى اذا لامس الخلاص من وهدة الخطيئة ، داخلت نفسه معرّة من ظلم الوجود . واذا خلاصه قد علقت بتلابيبه حسرة من تصرّم العمر . فالحب طاهر يمتص الجفاف ، ويهدر في الضمير ، ورغوة العيش تنتفض فتغمر الكائنات .

ولكن ما هناءة النبع بفورانه ، وقد حملت كل قطرة منه ظل جفاف نازف من اخدود النبع المتدفق :

العمر لن يقول
يا ليت من سنين .

هنا يظهر اول خيط من خيوط القصيدة الخفية : نعمة ناقصة تشاد على انقاض نعمة ممتلئة . ولكنها آثمة ، مجرمة ، لا انسانية .

لقد هيأ السندباد لخلاصه تجاربه بمراحل اربع : الاكتفاء بالاثم اللاواعي – اكتفاء الروح في وعي الاثم – ومضة الحب الموحّد – رؤيا ونعمة مكتملة – .

الاكتفاء بالاثم اللاواعي

رأى السندباد الى داره فوجدها تضج باطايب العيش ، فانفغرت نفسه على اللذة، وراح الى رسوم الرواق يتقراها بيده، ويخلع عنها دثار الخدر . فينطلق الابطال في كشوف جديدة

بعد عي من مماحكة اللذة . الاحياء من البشر في سدوم يبتعثون الرعب حولهم ويزرعون العهر ، والنار قد عقدت على رؤوسهم اكليلاً من غضب الله وثورة الحق . وعلى فتر من الارض المالحة ، انتصب كاهن في هيكل البعل وراح يتعاطى الاثم باشراقة المنتصر فيرشف الخمرة المضمخة بعبير الزهرة المغتصبة . وفي سرداب سحيق ، وقف المعري يتطاول الى الثمر المر في قبح المقصد وبشاعة الوسيلة .

راحت رسوم ذاك الجدار تبعث في النفس الضرم ، وتوري في الذات الشهوة . واذا الكل قد وحل في الحب حتى الموت :

من هذه الرسوم
يرشح سيل مثقل بالغاز والسموم
تمتصه الحية في الانثى
وما في دمها من عنصر الفجر
والنمر الاعمى وحمى يده
في غيرة الذكر .

في تلك المدينة المشتعلة تتحد الاشياء بالشر ، اتحاداً مبرماً . فيسري الدم في عروق النار ، ويذوب ماء الوجه في الحجر الاسود ، ويفنى الكل في الكل حتى لم يعد هنالك تذوق لشيء ولا شعور بشيء ، نتيجة هذه اللحمة التي لا تؤلف على تفرقة ، بقدر ما تصهر وتذوّب .

ويرتمي السندباد في هذه الديمومة المستعرة ، متأثراً بغريزة الطفل في ثقلها النوعي. انه بارع في قطف الثمار ، عليم بالاغواء على غير تبذل ، ممعن في سرار التمويه والطلاء :

اغلـّف الشفاه بالحرير
بطانة الخناجر الرهيفه
لحلوتي ، لحيّة الحرير .

هذه المرحلة التي تردى فيها السندباد اخصبت اخصاباً مُراً ، لانه انطلق هنا بفعل المحاكاة والميل البدهي الى اختبار الاثم ، لا بفعل الوعي الصحيح لمشكلة الحبّ . لقد غفل السندباد عن الاختيار الاكمل فانتهى الى مجون غامر . وعذبته اللذة الواحدة

بما تستتبعه من لذات . فامتلأ اثماً كلما لامس البرء من اوصاب الفجور . واذا هو امام ابيقورية يطعمها ذاته .

اكتفاء الروح في وعي الاثم

استفاق السندباد على صوت ضميره يثور ويبكته . فقام الى داره يطهرها من رجس الرفاق ، ومودّات النفوس الكاذبة . ردة الفعل هنا اقوى من الفعل لانها من مصدر الفعل ذاته . لقد وعى السندباد الاثم بغريزة الحياة وادرك ان الشهوة اذا لامست منتهى الحس ارتدت الى نقيضها متأثرة بآخر دفعاتها .

لم يحلُ السندباد خلاصة الهم العالق في صدره عندما هدم نفسه ليبتنيها من جديد ، وذلك لتشوفه الى معرفة الاسباب اللامعقولة التي ترهن وتقيد ، وكأنها استجابة مخلصة لالحاح انساني صادق هذا السير المعكوس للحوادث يظهر قـــدرة السندباد على الرفض . فهو من تعلة الوجود في صراع بين توقه الى الحب الخالص ومعاداة الطبيعة لهذا التوق في جميل غاياته .

... طلبت صحو الصبح والامطار ، ربي ،
فلماذا اعتكرت داري
لماذا اختنقت بالصمت والغبار
صحراء كلس مالح بوار .

احتكام السندباد الى الانسان فيه ، اخرج السؤال عن جموده ، وقضى على كآبة ولـّدها في نفسه تطلع الى حقائق مستسرة . كل سؤال يتضاءل امام معجزة الهدم والتشييد . فالدار تنهار بما فيها ثم «تلتم وتحيا قبة خضراء في الربيع» بفعل انساني خالص لم يكن الذي مسح الدمغات والرسوم عن صدر السندباد ملكاً من ملائكة الجنة . انه نفسه ملك يلج به الانتقام ، فيثور على مفاهيم بالية ، ويهتك استار الاثم المغلفة بخيوط اللذة المصطنعة ، فتمرع الدار من جديد ، ويمسي صاحبها على تنظر لقدوم الحلوة البريئة :

لن ادعي ان ملاك الرب
القى خمرة بكرا وجمرا أخضرا

في جسدي المغلول بالصقيع
.... لا ، لعلها الجراح
لعله البحر ، وحف الموج والرياح
لعلها الغيبوبة البيضاء والصقيع
شدا عروقي لعروق الارض
كان الكفن الابيض درعاً
تحته يختمر الربيع .

لقد كتب على السندباد ان يعيش حضارة هو منها على تباين ظاهر . حضارة اخذها بالتواتر عن السلف . انها ظلت في موضع الاساس من تفكيره ومعتقده حتى شهد في ذاته ولادة القوى الفاعلة التي تبتني وتهدم . وانتقلت نفسه من منطق الانفعال الى منطق الفعل لتغير في مجرى خطها الحضاري ولتقضي بالتالي على نمط التفكير والسلوك الذي فرضته عليها الحضارة « التبعية » .

ومضة الحب الموحد

كان على السندباد ان يملأ داره بعد ان صفاها من اوضارها . فاشرع بابها للوافد الجديد . هذه الابلالة المعجزة تبعتها رؤيا عرضت للسندباد في اصفى حـــالاته . انها مجردة من الكلم ، مكتملة في صورها التي اختلطت بها الاصوات المصاحبة للرمز .

يتناهى الى السندباد من حومة الرؤيا نداء دله ووجد ، فيسفر عن خبزه ، وملحه ، وخمرته ، وناره ، ويهيىء النفس لاستقبال الطيف الجائع الى الزاد الجديد :

... هل دعوة للحب هذا الصوت
والطيف الذي يلمع في الشمس
تجسد واغترف من جسدي
خبزاً وملحاً ، خمرة ، ونار
وحدي على انتظار .

تحرق صاحبنا الى الحب ، مبعثه هذا الفراغ الكياني الذي

لم يعرض له من قبل . فالانتظار في قسوته يفوق نكال الامتلاء الجحيمي الاول . غير ان الرؤيا قضت على حالة التأرجح هذه . فلم يطل تغريب الطيف في المتاهة ، حتى امتثل للرائي في سمت الكبراء . وسرى في المدينة الى كيان ينتظره .

تطلع السندباد الى ذاته ، فوجدها قد مالت الى الكبر ، واشتط عليها العمر . فتبدى الى جانب رفد الحب في مرآة دخيلتها غضون محجر وانكفاءة لون ولكن هيهات تصمد دفعة الحياة في وجه مبرد العيش ..

العمر لن يقول
يا ليت من سنين
ملء يدي وساعدي
اطيب ما تزهو به الفصول
في الكرم والينبوع والحقول
العمر لن يقول
يا ليت من سنين

على ان احتفال السندباد بالحلوة البريئة امر لازم . خصوصاً وانها تمثل بنظره نقيض المرأة التي محضها الحب في « الاقبية الوطيئة » فهي باول النور اشبه ، وطهرها اقرب الى مجاجة الزنبق من الزنبق، واصفى من قبلية التجربة المريبة، لانها تجربة دائمة على تنزه وتصون .

تجسد الخلاص في شكل هذه المرأة، وسرت نحوها اللطائف الكونية في مهرجان وثير . فلا مكان بعدها للتربة الدافئة ، ولبيدر العافية ، وللسمرة المزينة ، وللنكهة المستطابة . فهي لنفسها اكتفاء ، ولغيرها كفاء ، تمور بالعطاء الثر فيرشح منه على دخلة السندباد فواضل ندية:

يكفيني شبعت اليوم وارتويت ،
الحلوة البريئه
تعطي وتدري كلما اعطت
تفور الخمر في الجرار ،
بريئة جريئه

جريئة بريئه
في شفتيها تزيد الخمر
وتصفو الخمر في القرار
لن يتخلى الصبح عنا آخر النهار

ولكن الرؤيا انحدرت فجأة من كمال خطها البياني ، الى درك الواقع المزري . فعاد الى الدار اعتلالها ، وفورت البئر من جديد جفافاً وعتمة ، وسحب الطيف اذياله ، وفي النفس خوف على الخلص من وحشة قاتلة .

تمضي الى غرفتها تعثر في وحشتي ،
وحدي،
مدى عتمتي
مدى ليالي السهاد
دقات قلبي مثل دلف اسود
تحفّر الصمت ، تزيد السواد .

النعمة التي عرضت للسندباد في رؤاه ، زاد في كثـــافتها

احتشاد الصور وتلاحقها . ولكن سرعـــان ما تزايل شبح المحبوب عندما لامس في دخيلة المحب مخاضاً جديداً ، فيه من النبوة صدق الرسالة ومن الوجود المنفتح ايد ووثوق .

رؤيا ونعمة مكتملة .

وبعد ، هل العودة الى الجحيم الارضي ، الى الدار المعتمة ، وليدة معاناة ظلت مشبوهة لم تستقر على نهائية بعد ، ام انها نتيجة نكسة نفسية تردى فيها السندباد عندما زحف الى الكبر ، وما زال به ضرم المحبين واشتياقهم ؟

اغلب الظن ان عدم الاكتفاء بالحب المبرور ، ليس فقط تجاوزاً لاحساس عارض ، هو في تجربته الفردية لصيق بالزوال ، بل تجسيد لمأساة الانسان من دوران الزمن عليه . هذا الشعور المزدوج ولد في نفس السندباد ارتدادة كبر واستعلاء . انها في اطلاقها الاخير قد استجمعت الآتي عندما احتوت الحاضر ، وجعلت الانسان الفرد باحاسيسه الصغرى يصب تجاربه في

ذات الانسان الاكمل ، ويروح من ضمن هذه الشخصية يبني في اجتهاد تفاؤلي عجيب جيلا قد اغتسل من دمغة الخطيئة .

هذه اللفتة الانسانية في تجاوزها للزمان والمكان ، هي ثمرة الرؤيا الحقيقية ، التي تهزأ بالواقع وتبز في صدقها علمية الاشياء المحسوسة :

رؤيا يقين العين واللمس
وليست خبرا يحدو به الرواة

لقد عاين صاحبنا خلقاً جديداً ، وتراءى له في خماره تفوير يبتلع الطين العاهر ، ويمسح حدود الاثم . واذا بالتماسيح تغور ، وبالذنوب تنجلي وباليوم يبرأ من عفن الامس . فالعائد الجديد شاعر يحنو على الاخضر في بلاده، ويتعهد السرحة النامية بفيض من حبه غزير .

لا تسله الآن عن رحلاته السبع ، فهو لا يعيها ، ولا يحسها . اليست جميع رحلاته رحلة لم تبلغ غايتها الا في دخلة نفسه ، حيث المغامرة سعي دائب لاقتناص الخـــاطرة المولدة : بعد

الاقتناع بضرورة تبديل القيم . هذه الخاطرة التي تفطن الى الاشياء قبل حدوثها . فتشيد للاتي بارادة ، متجاهلة سببية الاحداث في تواردها الصحيح .

شاعريتك يا خليل سبّاقة محلّقة ، انها من تلك الشاعريات النادرة في كل عصر ، تجمّع الأقاصي والاعماق من تجربة الانسان ، في حاضره وماضيه ، في صور وضّاءة تأخذ النفس وتصلنا بتلك الرعشة الحسية التي (بعبـــارة وردزورث) تقصّر عنها حتى الدموع ...

جبرا ابراهيم جبرا

ان في شعرك تجديداً في الحس والصورة والوزن ، بدون الوقوع فريسة التقليد الصارخ للشعر الاجنبي ، كما هي الحال مع طغمة شعراء اليوم عندنا ..

حليم جرداق

شاعر جذاب الشخصية ... لا يستعير اصابع الغير ولا يشرب من محابرهم.

نزار قباني

شاعر جاد يرهق نفسه وراء الشعر العظيم .

احمد عبد المعطي حجازي

رائد الشعر الوجودي .

عفاف بيضون

الناشر	الثمن ٤٠٠ ق. ل او ٤٥٠ ق. س	الطابع
دار الطليعة		دار الريحاني